بأي ميزان تزن الحياة[1]

بقلم الاستاذ ترفيق دياب

اخواتي واخوتي

ذلك السر الغامض الذي يبدأ بالميلاد وينتهي بالوفاة ، ذلك السر الغامض الذي نسميه الحياة ، ونرى أنفسنا في غماره متدافعين الى الامام أو متراجعين الى الوراء ، ذلك البحر المتضم الذي تلقينا بين أمواجه يوم نولد قوة خفية ، حتى إذا سبحنا فيه شوطاً قصر أو طال ، نزعتنا منه تلك القوة الخفية حين يحل الأجل ، هذه المعركة التي نساق اليها غير مختارين ، ونفصل عنها غير مختارين . هذه الحياة ما هي ؟ وما غايتها ؟ ولماذا ولدنا ؟ ولماذا نموت ؟

ليت أحداً يستطيع الجواب عن هذا السؤال في كلمة أو كلمات . إذن لاستراح الفلاسفة وأصحاب المذاهب المختلفة في كنه الحياة . فقديماً كان . والى اليوم ما زال هـذا السر الرهيب موضوع البحث الملح ومثار الجدل العنيف بين العلماء والمفكرين . وليس عجباً أن يفكر الفلاسفة في مرمى الحياة ، وانما العجب أن لا يفكر في مرمى الحياة جميع الناس !

نولد أجنة وندرج أطفالا وننشأ صبية ونراهق فتياناً ونستوي رجالا ونبلغ الكهولة وتدركنا الشيخوخة ، ان قدر لنا أن نعمر ، ثم ماذا ؟ ثم تجف الشجرة وتذوى الازاهير ويتساقط الورق ، وما هو إلا نفس أخير نلفظه فاذا نحن رفات ! وذلك دون أن نفكر يوماً لماذا ولدنا ولماذا حيينا ولماذا نموت ، ودون أن نفكر من أين جئنا والى أين نعود ، وهل جئنا من عدم لنعود الى عدم أو جئنا من وجود لنعود الى وجود ؟

وأنت مع ذلك إذا أخذتك سنة من النوم ، ثم استيقظت فوجدت نفسك في غرفة لا عهد لك بها فان تستقر على حال من الدهش ، حتى تعرف ما هذا المكان ومن ذا جاء بك اليه وكيف جاء بك ولماذا ؟ ستطل من نوافذ الغرفة لترى على أي حديقة أو فناء تشرف ؟ ستفتح الباب فان كان موصداً عالجته حتى ينفتح أو يتحطم . فاذا خرجت من الغرفة جعلت تنظر يمنة ويسرة في ذهول وحيرة ، ثم جعلت تطوف بأرجاء الدار سائلا نفسك أين أنا وما هذه الدار ولمن هي وفي أية مدينة ؟ ولن يهدأ لك بال أو يستقر لك حال حتى تلقاك سيدة هي أشبه ما تكون بالممرضات ، فتنبئك بأن هذه الدار ـ عافاك الله ـ مستشفى وأن إغماءة طارئة غشيتك فخاف عليك والدك فاسرع بك إليه ، حتى اذا بشر الطبيب أباك بأن الأمر هين لاخطر فيه ، آثر لك

(١) من محاضرة القاها صاحب (الجهاد) في دار جمعية الشبان المسيحية بالقاهرة

الأقامة هنا أياماً الى أن تستعيد صحتك فترجع الى دارك سليما معافى !

حينئذ تدرك حقيقة المكان ومن جاء بك اليه وما السبب ! فاذا عرفت أن الغاية هى استشفاؤك مما بك ، لم يزدك علمك بهذه الغاية الا أخذا باسبابها واستيفاء لشرائطها ، حتى يتم لك منها ما أراده والدك وما أصبحت تريده لنفسك

هذا شأننا من الدهش والتساؤل اذا طوحت بنا الطوائح الى مكان نجهله ، فما بالنا تبعثنا الى هذه الدنيا قوة خفية على غير قصد منا ولا اختيار ثم تتوفانا مستضعفين على غير قصد منا ولا اختيار ، نظهر ونختفى على سطح هذا المحيط الهائل ، كالفقاقيع تنتفخ وتنفجر فى مثل لمح البصر دون أن يأخذنا دهش يدعونا الى الحيرة والتساؤل والتفكير ! ؟

لماذا بعثتنا القوة الخفية القديرة الجبارة الى هذه الدنيا ؟ أللنقصى فى هنائها أو عنائها . فى صحتها أو مرضها . فى غناها أو فقرها . فى عدلها أو ظلمها . فى إخائها أو لددها . فى رفقها أو جفائها . أو فى مزيج من هذا كله ستين أو سبعين عاماً اذا طال بنا العمر ؟

وما ستون أو سبعون عاماً فى امتداد الأزل الذى لا أول له ، وفى امتداد الابد الذى لانهاية له ؟ إن العلماء ليحصون السنين التى سلختها الانسانية على هذا الكوكب بالملايين لا بالالوف . ويقدرون لها البقاء فيه ملايين أخرى تربو على الأحصاء ؟ فما أنا وما انت ، وما نصيبى وما نصيبك من هذا السرمد الذى تحار فيه الألباب ؟ ذرة ضئيلة من جبل أشم . قطرة هينة من محيط متراخم

واذن فما حياتك وما حياتى وما حياة هذا الجيل كله وما حياة الامم الحاضرة كلها . حتى نجعل موضوع هذه المحاضرة (باى ميزان تزن به حياتك ؟)

ان التاريخ المدون او المكتوب لا يعدو ستة آلاف من السنين . وهى التى شغلت اقلام المؤرخين . وهى التى ظهرت فيها حضارات واختفت حضارات . وارتقت امم وانحطت امم . وهى التى وقع فيها من المظالم والحروب وطغى فيها من الرق والاستعباد ، وتقلب فيها من العقائد والأديان ، واختلف فيها من طرائق الخير والشر ، وتعاقب فيها على الجماعات والافراد من السعادة والشقاء ، واظلم فيها من الضلالات والجهالات ، وأضاء فيها من المعارف والعلوم ما يضيق عن الاحاطة به مئات الألوف من المجلدات . وهذا كله تراث ستة آلاف من السنين . وما هى من ماضى الانسانية المجهولة ومن تاريخها غير المكتوب . وماهى من مستقبل الانسانية الذى لا تترامى الى حدوده عين الخيال — الا بمثابة الدقيقة الواحدة من الوف الاعوام

اذن أليس من الغرور أن أتكلم عن حياتك وحياتى وعن ميزان حياتك وميزان حياتى ؟ .

ما حياتك وما حياتى اذا قستها بهذا المقياس المخيف ؟ انك لو نظرت اليها بالميكروسكوب لعز على الميكروسكوب ان يكشفها لمن ينظر اليها من افق الأزل القديم والابد الخالد

ألا تصدق ؟ اذن ألا تعلم أن كوكبك هذا الذى عاش فيه أجدادك من البشر ملايين السنين

وسيعيش فيه احفادك ملايين أخرى لا يحصيها العد ، ان لم يصطدم به جرم سماوى آخر فاذا أرضك هباء فى مثل قصف الرعد — الا تعلم ان هذه الارض بماضيها الزاخر ومستقبلها الباهر انما هى شظية تطايرت من الشمس كما تتطاير الشرارة من التنور الهائل المستعر ، فجالت شرارتك فى الفضاء حتى أخذت مدارها من نظامنا الشمسى واستحالت حصاة (مستقلة ذات سيادة)

انا وانت وهو وهى وهم وهن آحاد فى عداد ملايين الامة المصرية . والامة المصرية احدى العشرات الكثيرة من امم هذا العصر . واسم هذا العصر حلقة قصيرة من سلسلة ترجع الى ماض لا يدرك الخيال مبتداه . وتمتد الى مستقبل لا يدرك الخيال منتهاه على هذه الارض . وهذه الارض شظية كانت ملتهبة تناثرت من الشمس فدارت من نظام الكون حيث تدور ؟ فماذا عسى أن تكون حياتى وماذا عسى أن تكون حياتك ؟ لاسيما وانت تعلم ان نظامنا الشمسى ليس إلا واحداً من نظم كثيرة تماثله ، لو أطلنا التفكير فى كنهها وفى تلك القوة الخفية التى تسخرها لقضينا أعوامنا الستين أو السبعين فى التفكير ، دون أن نزداد فى تفهمها إلا ذهولا وحيرة

سيداتى وسادتى : هل تحتملون منى كلمة جريئة ؟ اذن تفضلوا فاسمعوها :

اذا كانت الحياة هى الاعوام الستين أو السبعين التى نعيشها فى هذه الدنيا ، من غير أن نكون مرتبطين قبل قدومنا بقوة هى التى بعثتنا لحكمة ، ومن غير أن نكون مرتبطين بعد رحيلنا بقوة هى التى استدعتنا اليها لحكمة ، اذا كانت الحياة مصدرها العدم ومصيرها العدم ، اذا كان مولدنا فى هذه الأرض مصادفة لم تقصدها قوة مريدة مدبرة ، وكان موتنا مجرد انتهاء لهذه المصادفة ، اذا كان وجودنا مجرد نتيجة آلية عضوية لمجرد تفاعلات آلية عضوية ، وكان زوالنا نتيجة مادية لاسباب مادية لا أقل ولا اكثر ، اذا كانت أيامنا برزخاً تاعساً بين بلقعين : بلقع الماضى قبل أن نولد ، وبلقع المستقبل بعد أن نموت ، اذا كنا فى هذه الدنيا مجرد أحلام زائلة وأشباح حائلة ، اذا كان كل هذا العناء وهذا الكدح وهذه الآلام وهذه الأمراض وهذه الخطوب التى نشاهدها أو نحتملها أو نكافحها فى سبيل الانسانية ، اذا كانت كل هذه الحضارات وهذه العلوم وهذه الفنون وهذه الآداب التى تسمو اليها الامم جيلا بعد جيل ، اذا كانت هذه الشرور كلها وهذه الخيرات كلها ليس وراءها إلا مطلب واحد ، هو أن يعيش كل فرد من الناس خمسين أو ستين عاماً محدودة بحدين . عدم مطلق منذ الأزل وعدم مطلق الى الأبد . ماعدا هذه الأعوام الخمسين أو الستين ؟ — اذا كان الأمر كذلك فما أحمق الأحياء الذين يؤمنون بهذا العدم من قبل ومن بعد ثم يعيشون ان الانتحار أولى بهم وأجدر . اما أنا فلو كنت منهم لانتحرت . ان هذه الأعوام الستين التى يعيشها المرء فى هذه الدنيا لاتساوى فى ذاتها غصة الفقر ولا ذلة الحاجة عاماً واحداً . انها فى ذاتها لاتساوى برحاء المرض الممض نصف عام . انها فى ذاتها لا تساوى احتمال ظلم الظالمين ولا جبروت المتجبرين . ان المرء ليصادف فى هذه الأعوام الستين أو السبعين من

ضروب الأذى ما لا يحتمله الا لشعور واحد ، هو ان الحياة سر قديم خالد ، لا حياة الجماعة فحسب بل حياة كل فرد من افرادها كبر أو صغر ، جل فى نفوس الناس أو هان.

اذا سألت بعض علماء المادة الذين يرون حياة الفرد مسبوقة بعدم منتهية الى عدم . اذا سألتهم لماذا يعيشون ؟ قالوا نعيش طوعاً لغريزتين : غريزة الحرص على بقائنا ، وغريزة الحرص على بقاء النوع . أما حرصنا على بقاء أنفسنا فواضح فى الطفل يتجنب السقوط من عل ويتجنب النار اللاذعة والحفرة العميقة . واما حرصنا على بقاء النوع فواضح فى الأم تسهر على ذراريها . والأب يعول أبناءه حتى ولو كانت الأم حيواناً اعجم

ونحن نفهم هذا التعلل بقوة الغريزة من غير السادة العلماء . فأما وهم من أهل التفكير الذين من شأنهم أن يرجحوا حكم العقل على اندفاع الغرائز ، فقد كان الاولى بهم اذا لم يؤمنوا بأن لحياة الفرد اتصالا وثيقاً بالخلود ، كان أولى بهم أن يدركوا هذه الاعوام القليلة التى ستسلبهم عما قريب الى الفناء ، هـــذه الاعوام لا تستحق منهم عناء البحث والتنقيب فى مظاهر كاذبة ، ولا تستحق منهم هذا العكوف على المعامل والآلات والمنظار المكبر والمنظار المصغر والتعليل والتحليل والكدح بالليل والنهار ، للوصول الى حقائق مهما تكن فى نظرهم جليلة فهى تافهة مادامت هذه الخلائق الانسانية ـ والسادة العلماء فى طليعتها ـ كائنات تافهة تظهر اليوم من ظلام العدم لتنتهى غدا الى ظلام العدم . كان أولى بهم أن يقفوا مبشرين بالفناء وأن يقولوا للناس فيم الكد وفيم العناء فى سبيل غاية مقفرة مظلمة ، الى العدم العاجل بيدك أنت ايتها الانسانية مختارة طائعة . فذلك اكرم واروح للبال من ان يحل بك العدم غير طائعة ولا مختارة

يقولون إن حياة الانسانية شىء وحياة الفرد شىء آخر . حياة الفرد الى العدم . فاما حياة الانسان فالى البقاء . لذلك يدعون الانسانية بالعلم والفن والادب ليجىء الجيل اللاحق خيراً من الجيل السابق . ولتجىء الحضارة الآتية اعظم واروع من الحضارة الماضية . وهذا فى الحق سخف عظيم ! لأن معناه أن جميع الاجيال الماضية وجميع الاجيال الآتية كانت وستكون مجرد عتبات ومدارج ، او مطايا وبراذع ، يعلوها فى النهاية آخر جيل تتمخض عنه الانسانية . فاذا استوى الجيل الآخير على قمة المجد لم يكن مجده خالداً ، بل كان مجده زائلا كذلك . ولو عمر الانسان الاخير بفضل العلم الف سنة ثم ينقضى هذا الجيل الآخر بانقضاء صلاح الارض للحياة . وانتهت الدنيا الى غايتها ! وفنيت حرارة الشمس وانطفأ ضياؤها ، واستحالت البحار جليداً والشجر والنبات هباء ، وأمست الانسانية عدماً مطلقاً الى آخر نسمة فيها ـ ولم يبق للانسان المسكين حتى ولا الذكرى . اذ منذا يذكر الانسان وقد انمحى من صفحة هذا الكون آخر انسان . وانمحى لا ليسمو الى عالم آخر ولكن ليبقى غريقاً فى غمرات الفناء خالداً فيها أبد الآبدين

وحي جبال شامونى

بقلم الاستاذ سامي الجريديني

شامونى أو شامونيكس (Chamonix) قرية من قرى مقاطعة سافوا العليا تقع فى جبال الالب ترقب الجبل الابيض ويشرف هو عليها ، يقصدها الناس يصطافون فيها ويشتون . تنوع مناظرها فتنة وأشجارها الناطحة السحاب وصخورها صقلها الثلج من آيات الجمال الطبيعى

كان الكاتب الانجليزى جون رسكن (John Ruskin) يلجأ اليها يستوحى غاباتها وجبالها رسائل فى الاصطلاح الاجتماعى وقد انفق عليه وقته وماله فتأبى وتتمنع وتود عليه أن يكتفى بما وهبته الطبيعة من نبوغ فى الفن والادب

وكان يأوى أيام اقامته بالقرية الى صخرة يضطجع عليها تظلله الاشجار موليا وجهه قبلة الجبل الابيض حتى اذا قضى نحبه نحت أهل القرية صورته من تلك الصخرة وعليها ودعوها صخرة رسكن ، وهي تعرف بهذا الاسم حتى الساعة

يممتها وجلست عليها — وما انا من عشاق هذا الفنان — فما راعنى الا هذه العظمة فى الطبيعة وهذا الجمال ، وانصراف ابن آدم عنها الى لذة الجسد ومتاع الساعة ، وقد كتبت السطور التالية فى ذلك الوقت جزءاً من رسائل بعضها نشر وبعضها لم ينشر واني لا أعلم — وقد حاسبت ضميرى — انها كانت أحسن ما كتبت ان وجد شيء حسن فيما كتبت

بم أشبه هذا الجبل . وبماذا ينبغى أن يشبه ؟

كيف أصف ما فى الجبال من عظمة ومن وقار ومن جمال يبدو لك وأنت بعيد عنه فيملأ خيالك اعجاباً ويصور لك هذا البعد الفن ممثلا فيه ، فاذا ما اقتربت منه ودخلت حراجه وتسلقت صخوره ولمست اشجاره ، ذعر خيالك اذ يرى الجمال والعظمة يذوبان رويداً رويداً امامه وينزلان من قمة التصور الى موطىء القدم

يبدو لك القريب الذى كان بعيداً وتظهر عيوبه . فالشجرة قد اعتراها اليبس والصخرة تفتتت تراباً ، والارض منها المرتفع ومنها المنخفض شأنها فى كل الطرق على غير الجبال

فتبعد عن الجبل وقد ازدريته ثم تبدو منك التفاتة الى الوراء فيعود يسحرك بجماله ويرجع فيأخذ عليك حواسك عظمة وجلالا

انه اشبه الاشياء بالنابغة العبقرى

تقرأ الشعر الخالد فتبني للشاعر قصراً شامخاً يكاد يمس عرش الآلهة ، فاذا قربت منه وخبرته أو قرأته ودرست حياته رأيته بشراً مثلك له كل عيوبك وقد لايكون له كل فضائلك

وتسمع بالقادة الزعماء الذين استهووا الجماهير فساقوهم إلى الثورة أو إلى الحرب أو إلى الاصلاح فيصور لك البعد عملهم كاملا وقولهم حكمة وتبرز لك أشخاصهم متقنة الصنع أبدع ما أتقن الخيال . ثم تتاح لك عشرتهم أو تطلع على سيرتهم الخاصة فاذا أنت أمام رجال مثلك يحبون ويكرهون ويغضبون ويرضون ويطمعون ويزهدون بل وقد يتسفلون حيث يعلو سواهم فتعود نادماً منكراً ما أعددته له من حق فى التصور وتزعم أنك أنت أولى بذلك منه

ذلك لان نظام الطبيعة فى الأشياء وفى الاشخاص يأبى الوحدة — ماذا أقول ؟ بل يأبى التناسق فالطبيعة تكره الكمال ولا تسعى اليه رغم مايقوله لنا علماء الاخلاق . بل هى تجمع ماتناقض فى واحد . فحيث الذكر هناك الأنثى وحيث السرور هناك الغم وحيث العلو هناك الهبوط وحيث الجمال هناك القبح

أرأيت إلى تلك الزهرة جميل لونها فائح عطرها قائمة على سفح الوادى يحييها المطر وتنعشها الشمس ، لا تلبث حتى ينهار عليها صخر من عل فاذا بها أثر بعد عين

لكل شىء فى الطبيعة ند يقاومه ولكل شىء فى الانسانية ثمن

إذا طمعت بالثروة فسعيت اليها وأجهدت نفسك فأحرزتها تفقر غيرك بل تفقر نفسك فى أمور أخرى

قد يتاح لك متاع المال ولكنك قد تحرم متاع الحب الطاهر أو الفكر النير او رحمة تبذلها للغير

افعل الشر تنل جزاءك من عملك بالذات وتر الخير قد برز من ناحية اخرى من نواحى ما عملت

انما عقابك على عملك أو ثوابك عليه آت فى دنياك كرهت أم رضيت . ولا تقس هذا الثواب أو ذاك العقاب بمقياس عقلك فانك تضل السبيل،فعقلك ابن عاطفتك ووليد رغبتك لم يتح له ان يستقل عنها بعد . فالقانون الذى يعاقب السارق على سرقة من السرقات بالحبس سنة واحدة وآخر على سرقة أخرى بالحبس سنين — هل أصاب ووزع العدل بالسواء ؟ ألم تحرم الطبيعة السارق لذة الحياة المطمئنة ولذة العمل ولذة الكسب منه ؟ دع عنك ماحرمه اياه القانون . فالطبيعة تكره الكمال ولا ترضى عن عظمة تقوم الا ألبستها نقصاً . وكأن الانبياء اتخذوا من درسها صورة للخلود وللحياة الاخرى وما وضعوا فيها من ميزان عادل يوزع الامر بين الناس بالقسطاس

نعم . انما تجزى كل نفس بما صنعت وكل شىء بما هو عليه ليس فى الآخرة فحسب بل فى هذه الدنيا أيضاً

فقاموس المقاصة يوزع على الناس وعلى الاشياء أقساطهم فى حياتهم بله ما بعد الممات صعود وهبوط . غناء وفقر . وموت وحياة . عذاب وسرور . هذه هى الطبيعة بل هذه هي الحياة أمور تناقضت واجتمعت فى شخص فسموه عقلا وعواطف وسموه الانسان . واجتمعت فى شيء فسموه جبالا وبحاراً وبرداً وحراً وموتاً وحياة وسموه الطبيعة

☆ ☆ ☆

ما أشبه الجبل بالنابغة أو ما أشبه النابغة بالجبل ! فى أن كلا منهما يحتوى كلما حوله

فليس الرجل بالعبقرى ان لم يضم فى برديه كل آمال جيله وأمانيه وكل ماضى يومه وتقاليده وكل مطمح لامته وكل مثل عال

نقرأ النابغة فترى انه ترجم فكرك وقال ما هممت أنت بقوله فلذا سارت أقواله مضرب الامثال

وليس النابغة من يرتل الشعر فلا تدرك ما يقول أو يكتب فلا يعبر عن فرحك وحزنك وعن أملك وعن شعورك — لا — انما النابغة من أخذ أبسط الأمور فى الحياة فحاكها رأياً جامعاً فى ثوب لا يبلى ، او تناول اقرب الاشياء الى النفس فنطق بها فكراً حيا يعيش ابد الدهر

كذلك الجبل العظيم الفخم الجميل . انظر اليه — ألم يحو الصخور الكبير منها والمتحطم . والاشجار الشامخ منها والضارب رأسه فى الارض ؟ انه جمع الوحدات وضمها كلها ضمة واحدة حتى تكاد تخاله مستقلا عما حوى ، اذ يبهرك وقار عظمته . وما هو الا هذه الحجارة وهذا النبات اتخذوا شكله قالباً رفيع الشأن

☆ ☆ ☆

ايه جبال شامونى — ثم لجأ اليك واستظل غاباتك غير الكاتب الانجليزى الذى خلدت ذكراه من عبقرى ذائع الصيت أو عبقرى صامت منزو او رجل عادى لم تر منه الطبيعة إلى فوق المستوى فابقته ثابت الايمان وطيد الرجاء — وكلهم ينشد فى خلوته على صخورك وتحت اشجارك العزاء فى احزانه او السلوة فى شجونه او الهناء اذ عز عليه فى الاندية البشرية

منهم من رأى فى جوارك بعينه وبقلبه فارسل وحيه كتاباً خالداً يأخذه الآخرون ويتمتعون به فى نفس هذا الجوار

شكراً ايتها الجبال الخالدة خلود ما توحينه إلى الناس — شكراً دلى اياديك البيضاء على وعلى الناس

مقتطفات

بقلم الاستاذ احمد رامى

الى مصر

إنى في ربالك فتحت عينيَّ ... فأبصرت أول الانوار
وسقاني النمير من نيلك العذ ... ب فروى تعطشي وأوارى
وغذاني ثراك فاشتد غرسى ... وصفا موردى وطاب قرارى
فيك اهلى وفيك مثوى أبي البر ... ومفدى الخلصان من سمّاري
ونواحيك رددت ما افاض الشـ ... ـعر في خلوتى من الاسرار
ومناحيك مسرح الفكر نجلو ... لخيالى مآلف التذكار
سمعت ضحكتي صبياً وأصغت ... لنواحى يجيش في اشعارى

الى ام كلثوم

رنة العود شدوها وصداها ... حنة الناى أو أنين الكمان
خلقت آهة فكانت عزاء ... من هموم الحياة والاحزان

الجندى المجهول

كم يزور اليتيم قبرك ظناً ... أن تكون الابر في الآباء
وتطوف الثكلى بمثواك زعماً ... ان تكون الاعز في الابناء
ويلوب الاخ الحزين رجاء ... أن تكون الاخ الحبيب النائي
كلهم فاقد وانت فقيد ... وحد الحزن في اختلاف الشقاء
جمعتهم بك الامانى فأصبحـ ... ـت لهم مبعث الاسى والعزاء

المـــال

بقلم الاستاذ ابراهيم المازني

اوصاني أبي وأبوه وكل جد لي الى الشيخ آدم ، أن أكنز المال ، قالوا : والمال عصب الحياة بل هو الحياة ، ولا قيمة لشيء في الدنيا بغيره ، وليس يحيى من ليس له مال ، وغاية حظه أنه موجود في الدنيا ومحسوب في الأحياء - على التسامح ، قالوا : ولا حرية لفقير ، ولا حق لمعدم ، ولا كرامة لمفلس ، واذا لم يكن للانسان مدخر حين يمد اليد حتى الى الأجر الذي عملت به ، فقد خضعت رقبته لمعطيه حقه وهان عليه أمره ، قالوا : وكن من شئت أو ما شئت أدباً أو علماً أو خلقاً ، فليس بمجديك هذا فتيلا ولا رافعك كثيراً أو قليـــلا ، إذا كنت فقيراً ، وأحر حينئذ بالادب أن يكون من ذنوبك التي تحصى عليك ، وبعلمك أن يكون مدعاة لكرهك أو استثقال ظلك ، وبالخلق الذي أنت عليه أن يجر عليك الهضيمة والغمط والاستخفاف ، ثم كن من شئت فراغاً أو جهلا أو سوء خلق ، فلن يضيرك هذا إذا كان لك مال ، فانه شفيع لا يخيب ، وستر لا يكشف ، ودرع سميكة تقيك وترد عنك النصال مكسرة ، ولا تصدق أن في دنياك عدلا أو أن القوانين تكفل لك حقا ، أو أن كونك إنساناً يجعلك مساوياً لأي إنسان سواك . انما العدل هو المال ، والحق هو المال ، والمساواة هي المال . وعلى قدر مالك تكون الرغبة في انصافك ، والاجتهاد في إعطائك حقك وتقديمك أو تأخيرك ، ورفعك وحطك . بل نظرة الانسان الى الانسان ترق أو تجفو ، وتدعو أو تطرد . وتكرم أو تهين ، وترحب او تغضي ، ويلمع فيها نور البشر أو يفترها الملال أو يسودها النفور ، تبعاً لماليهما . والمال يقلب المذام محامد ، والفقر يعكس الآية ويقلب القضية

قالوا : ولا ديمقراطية ما دام ان في الدنيا شيئاً اسمه المال ، لان المال يقسم الناس فريقين غنياً أي ليست به حاجة . وفقيراً أي به حاجة . ولا يستوي مستغن ومحتاج . وكل مايحاوله الانسان من تنظيم حياة الخلق على قواعد الاشتراكية او الشيوعية او غيرهما مما يمكن أن يخطر له عبث وباطل ومحال . فاعرف هذا واجعل همك وكدك جمع المال وتكديسه فانه اجدى عليك من كل تعبك تحت الشمس

قالوا : وقد كان اليونان الاقدمون يزعمون في بعض اساطيرهم ان المرء بعد الموت ينحدر الى وادي الاشباح . وهناك تلقى « اتروب » الموتى ويحصيهم . ويسلمهم الى « شارون » الموتى

ينقلهم على زورقه ويعبر بهم نهر « ستيكس » ـ او نهر النسيان اذا شئت ـ الى حيث يحاسبون . والنقل على الزورق بأجر ولا بد ان يؤدى الميت هذا الاجر الى شارون النوتى . والا امتنع عن نقله . وتركه معلقاً بين الدنيا والآخرة

فتى الآخرة فيما تصف هذه الاساطير الاغريقية يلقى فيها ذو المال التيسير ويشقى فيها الفقير ، فاعرف هذا ولا تنسه

والمال هو الخير والشر والفضيلة والرذيلة ، والشرف والضعة والكرامة والمهانة والقوة والضعف والقدرة والعجز . ولا تصدق من يقول لك غير ذلك . جرد الدنيا من المال تمح كل هذا ، وتترك الحياة باهتة مسيحة لا لون لها ولا طعم ، ولا طماح فيها ولا سعى ، ولا شيء من المغريات بهما . وقد اضنى الفلاسفة عقولهم فى البحث عن اصل الخير والشر وغير ذلك . والاصل تحت اعينهم . وهل ثم اصل غير المال ؟ ؟ ومن كان يرتاب فى ان الامر كذلك ، فما عليه إلا ان يتصور الدنيا ـ إذا وسعه ذلك ـ وقد خلت من المال . فكيف يراها تكون ؟ والى أى حال يرتد الناس ؟ وعلى اية قاعدة من الاخلاق او سواها تقوم العلاقات بينهما . وعلى انه لا حاجة لأحد ان يرهق نفسه ويكلفها ان تتصور هذا الذى يكاد يستعصى على الخيال . وبحسب من شاء ان يفكر فى اية خلة من خلال الخير او الشر فى ارتباط المال بها واثره فيها . فان التأمل حقيق ان ينتهى به الى الايقان بأن المال ـ كائنة ما كانت صورته ـ يوشك ان يكون هو الذى اتاح للفضائل والرذائل وخلال الخير والشر فرصة « التسمى » واعانها على البروز بعد ان هيأ لها ان تعرف بأسمائها . ولا شك ان المال لم يخلق فى النفس الانسانية نزعاتها وعواطفها ولكنه هو الذى اكدها واظهر الكامن فيها . واقام المعالم ورسم الحدود واحوج الانسان الى النظام والتشريع

وأذكر على سبيل التمثيل ان « ليكرج » المشترع الاسبرطى ، فطن الى فعل المال واثره فى الحياة وفى عادات الناس ونفوسهم وعلاقاتهم ، فعمد الى الذهب والفضة فنفاهما وامر ألا تسك من هذين المعدنين الساحرين نقود ، وان تتخذ العملة من الحديد وجعل القيم خسيسة . فكانت القطعة الضخمة التى يعيى بحمل ثلاث او اربع منها الرجل القوى ، لاتساوى شيئاً يستحق الذكر . فكان أن كف الناس عن ادخار المال لان الكوم من هذا الحديد لم يكن يعدل قطعة صغيرة من الذهب ، وانصرفوا عن البذخ والترف فى معيشتهم ، إذ كان الحديد لايقتنى ولاهو يشترى شيئا ، ولم يبق هناك ما يستحق ان يسرق فبطل التلصص وانقطع السطو وامتنعت الخيانة وما الى ذلك وزال التحاسد لان الغنى والفقر صارا اسمين لا حقيقة لها ولا فرق بينهما اذا اعتبرت الواقع ، ووقفت التجارة فى حدود البلاد وما وراءها ـ وعلى القارىء ان يتم الصورة ويلونها اذا وسعه ان يهتدى الى الوانها

وقد اتخذت النقود وما اليها فى اول الامر وسيلة لتسهيل المبادلة والمقايضة . وما تزال كذلك الى يومنا هذا . ولكنها صارت تطلب لذاتها وتجمع وتدخر رغبة فيما تفيده من الاقتدار والشعور بالاطمئنان والكرامة والجاه والسطوة . فتسابق الناس اليها وتهالكوا عليها وانقلبت غرضا يطلب ويسعى له . وان كانت قدظلت مع ذلك وسيلة الى ما وراءها مما تعين عليه . وهذا التهالك العنيف على المـــال واقتنائه هو الذى اظهر الكامن فى النفس الانسانية وكشف عن المستور ودفع به الى السطح وأطفاه على اللجة ،كالبحر لا ترى منه وهو ساكن غير صفحته المصقولة حتى اذا جاش واربد قذف بما فى جوفه من طيب وخبيث

قالوا : وليس اقوى من المال إلا القدرة على الاستغناء عنه . فمن كره ان يحشد المال ويشد به ازره ويقوى به ساعده فلينفض منه يده . ولما كان المال هو كل ما فى الدنيا مما ترضى عنه وتتسخطه ونجله وتحقره وتفرح به وتحزن له ، فنفض اليد منه معناه ومؤداه نفض اليد من الدنيا نفسها . واذا كان المال قوة فان اقوى القوة ان تستغنى عن القوة . والزاهد الذى يصفى نفسه ويخنق شهواتها ويقتل اهواءها ويروضها على الاستغناء عن كل ما يطلبه الناس ويسعون له ـ هذا يخلق من روحه قوة تربى على قوة المال ولا تباليها

قالوا : اما ان تغنى او تزهد وإلا عشت محتاجا الى الناس ـ والناس من تعرف

كذلك اوصانى ابى وابوه واجدادى الى آدم

الشاعر

شاعر يطلب السمو على اجنحة الشعر في سماء الخيال
ويرى المجد في الخلود بما غنى فغنّى به فم الاجيال
صوته من فم الطبيعة ينساب انسياب الحياة في الاوصال
كيف تفنى انغامه وهى فى الكون نشيد من لحنه السيال

احمد رامى

حوار الأدب (١)

بقلم الاستاذ مخائيل نعيمة

والذى حارت البرية فيه حيوان مستحدث من جماد

هو الانسان - عبرة العبر وحيرة الحير ، يجيء من حيث لا يدرى ، ويمضى حيث لا يدرى . يحل هذه الارض ردحاً من الزمن فيبهره جلال ما يرى ويسحره جمال ما يسمع . فوقه نجوم لا تعد . وحوله فضاء لا يحد ، وخلفه وأمامه حياة ترتدى كل لحظة برداء . فصول تعقب فصولا ، وأجيال تلحق بأجيال . نهار تبتلعه ظلمة . وظلمة يمحوها نهار . ولادة وموت ، وموت وولادة . وبين الولادة والموت أشواق لا تنطفىء حتى تلتهب . وآلام لا تسكن حتى تهيج . وسعادة لا تورق حتى تذوى . وعطش لا يرتوى حتى يعود . وجوع لا يطمئن حتى يثور

هو الانسان - أحجية الاحاجى . منذ راودت نفسه اليقظة حتى اليوم وهو فى صراع مستتب مع الطبيعة . لا يصرعها مرة حتى تصرعه الف مرة . ولا يتغلب على عثرة من عثراتها حتى تقيم فى سبيله الف عثرة وعثرة . ولا يرفع الغطاء عن سر من أسرارها حتى تباغته بالف سر وسر . فهى غالبة أبداً وهو مغلوب . ومن الغريب انه ، مع ضعفه الواضح وجبروتها الظاهر ، لا يزال يصارعها . فلا هو يثنى ولا هى ترحم . ولا هو يقر لها بالغلبة ولا هى تسحقه فتستريح منه وتريحه

فما السر فى حرب هذا « الحيوان المستحدث » مع كون ، ما هو بالنسبة اليها إلا حشرة صغيرة ؟ تصرعه الحياة فلا يلبث حتى يعود منتصباً على ساقيه متحفزاً للوثوب . تجرعه من المرارة ألوانا فلا ينقم عليها ولا يتركها الا قسر ارادته . وتنزل به من المصائب أشكالا فيتحملها بثبات وصبر . وتقيم فى وجهه من العقبات جبالا فلا تثنيه عن سيره ولا تثبط عزيمته

ان « حيوانا » يثبت فى جهاده مع الكون مثل هذا الثبات لحيوان وايم الحق غريب عجيب ! فما السر فى هذا الثبات ؟

أوليس السر فى ان لهذا الحيوان « المستحدث » سلاحاً لا تحطمه العناصر ولا يفله الموت ؟ وهل ذلك السلاح الا قوى كامنة فيه هى أشد وأمتن وأبقى من قواه الحيوانية ؟

تلك قوى الروح غير الفانية . تلك القوى التى ترفعنا فوق الحيوانية ، وترينا فى دياجير الحياة

(١) اخترناها له من كتاب (الغربال) وقد وضعت مقدمة لمجموعة الرابطة القلمية لسنة ١٩٢١

وميض أنوار تحبب الينا الحياة وتذكي فى داخلنا شرارة أمل بان لابد أن ندرك يوماً ما مانحن طالبون . أى . هى قوى الروح تسيرنا على غير معرفة منا ونشعر بها لكن لاندركها بعد . لذلك نبحث عنها حتى اذا ما وجدناها وجدنا أنفسنا فعرفنا اذ ذاك منزلتنا من الكون وسرنا معه لا ضده لنتم به ويتم بنا

أجل . اننا فى كل ما نفعل وكل ما نقول وكل ما نكتب انما نفتش عن أنفسنا . فان فتشنا عن الله فلنجد أنفسنا فى الله . وان سعينا وراء الجمال فانما نسعى وراء أنفسنا فى الجمال . وان طلبنا الفضيلة فلا نطلب الا أنفسنا فى الفضيلة . وان بحثنا عن مكروب فلا نبحث الا عن أنفسنا فى المكروب . وان اكتشفنا سراً من أسرار الطبيعة فما نحن الا مكتشفون سراً من أسرارنا . فكل ما يأتيه الانسان انما يدور حول محور واحد هو الانسان . حول هذا المحور تدور علومه وفلسفته وصناعته وتجارته وفنونه . وحول هذا المحور تدور آدابه . فهو فى كلها يسعى وراء أمر واحد . وهو أن يظهر نفسه لنفسه عله يدرك القوى التى تسير به فى بحر الوجود ولا قيمة لعمل يأتيه الا بمقدار ما يدنيه ذاك العمل من معرفة نفسه أو يقصيه عنها . وسواء أدرك الانسان ذلك أم لم يدركه فهو أبداً يقيس كل مايأتيه بهذا المقياس . فيهمل منها ما لايزيده بنفسه معرفة . ويحتفظ بما يشاهد فيه مظهراً من مظاهر نفسه . وما تاريخ المدنية لو فحصنا الا تاريخ هذه الغربلة الدائمة والمقابلة بين الامور وانتقاء ما فيه أثر روحى جليل واهمال ما ليس فيه من أثر يذكر

ان على سطح الارض ملايين من البنايات التى شادتها يد الانسان من قديمة وحديثة . لكن الآثار الهندسية التى تقر بها العين وتنتعش بها الروح لا تعد بالملايين ولا بالالوف . وفى العالم جبال من الرسوم والتماثيل . لكن الرسوم والتماثيل التى تقف أمامها بخشوع ودهشة تعد على الاصابع . وفى مكاتب العالم قناطير مقنطرة من الآثار الكتابية . فكم هى الكتب التى ما تزال تقصدها البشرية لترشف المعرفة والحكمة من سطورها ؟

قد يخطىء الانسان اليوم فى حكمه على أثر من الآثار . فيستكبر الصغير ويستصغر الكبير . قد يخطىء جيلا ، لكنه لا يخطىء دهرا . فالأثر الخالد لا يموت . والميت لا يعيش . ولا يخلد من الآثار الا ما كان فيه بعض الروح الخالدة

بين كل المسارح التى تتقلب عليها مشاهد الحياة ليس كالادب مسرحاً يظهر عليه الانسان بكل مظاهره الروحية والجسدية . ففى الادب يرى نفسه ممثلا ومشاهداً فى وقت واحد . هنالك يشاهد نفسه من الاقماط حتى الاكفان . وهنالك يمثل أدواره المتلونة بلون الساعات والايام . وهنالك يسمع نبضات قلبه فى نبضات قلب سواه ويلمس أشواق روحه فى أشواق روح غيره . ويشعر بارجاع جسمه فى أوجاع جسم انسان مثله . هناك تتخذ عواطفه الصماء لسانا من عواطف

الشاعر وتلبس أفكاره رداء من نسيج أفكار الكاتب. فيرى من نفسه ما كان خفياً عنه وينطق بما كان لسانه عيا عن النطق به فيقترب من نفسه ويقترب من العالم. فرب قصيدة أثارت فيه عاصفة من العواطف، أو مقالة تفجرت لها في نفسه ينابيع من القوى الكامنة، أو كلمة رفعت عن عينيه نقاباً كثيفاً. أو رواية قلبت إلحاده الى ايمان ويأسه الى رجاء وخموله الى عزيمة ورذيلته الى فضيلة. تلك مزية قد خص بها الادب. وتلك هي مملكة الادب لا ينازعه عليها منازع. وما سلطان الادب الا في انه أبداً يجول في أقطار النفس باحثاً عن مسالكها مستطلعاً آثارها مستفسراً أسرارها. وما شرف الاديب الا انه أبداً يشاطر العالم اكتشافاته في عوالم نفسه حتى اذا ما وجد آخر بعضاً من نفسه في تلك الاكتشافات كان ذلك للاديب اطيب تعزية واكبر ثواب

إذن. فالادب الذي هو أدب ليس الا رسولا بين نفس الكاتب ونفس سواه. والاديب الذي يستحق ان يدعى أديباً هو من يزود رسوله من قلبه ولبه

ان « الرابطة القلمية » ما كانت لتقدم هذه المجموعة الى قراء العربية لولا اعتقادها بأنها قد اتخذت من الادب رسولا لا معرضاً للازياء اللغوية والبهرجة العروضية. وقد تكون مخطئة فيما تعتقد. لكن اخلاصها في الاقل يشفع بخطئها. فهي لا تدعي لهذه المجموعة اكثر مما تستحق. فان لم يكن لها الا تشويق بعض الارواح الناشئة الى طرق الادب عن سبيل النفس لا عن سبيل المعجمات فحسبها ثواباً. فقد كفانا ما عندنا من المعجزات اللغوية وآن لنا ان نتعطف ولو بالتفاتة على ذاك « الحيوان المستحدث » الذي كان ولا يزال سر الاسرار ولغز الالغاز، لعلنا نجد فيه ما هو أحرى بالنظر والدرس من رأس السمكة في قولهم: « اكلت السمكة حتى رأسها »

مجاملة اللئيم

في الناس ان فتشتهم ... من لا يعزك أو تذله
فاترك مجاملة اللئيـ ... ـم، فان فيها العجز كله

ابو فراس

الفقر والسقام

من قصيدة للاستاذ معروف الرصافي

أى مضنىً يمدها باكتئاب أنَّة تنزل الحَشا فى التهاب
يتشكى والليل وحف الاهاب ضمن بيت جثا على الاعقاب
صفعته فمال كف الخراب

تسمع الاذن منه صوتاً حزيناً راجفاً في حَشا الظلام كمينا
يملأ الليل بالدعاء انيناً رب كن لى على الحياة مُعينا
رب إن الحياة اصل عذابى

وجعٌ في مفاصلي دقَّ عظمى ودهاني ولم يَرقَّ لعدمي
عاقني عن تكسبي قوت يومى رب فارحم فقري بصحة جسمى
إن فقرى اشد من اوصابى

يا طبيباً واين مني الطبيب حال دون الطبيب فقر عصيب
لا اصاب الفقير داء مصيب إن سقم الفقير شيء عجيب
بطلت فيه حكمة الاسباب

رجل معسرٌ يسمى بشيرا كان يسعى طول النهار اجيرا
كاسباً قوته زهيدا يسيرا مالكا في المعاش قلباً شكورا
راجياً في المعاد حسن المآب

عالَ اختاً حكمته خلقاً نزيهاً عانساً جاوز الزواجُ سنيها
لزمت بيت امها وابيها مع أخيها تعيش عند أخيها
مثله في طعامه والشراب

كل يوم له ذهاب ومأتى في معاش من كده يتأتى

هكذا دأبه مصيفاً ومشتى فاعتراه داء المفاصل حتى
عاقه عن تعيش واكتساب
بينما كان في قواه صحيحاً ساعياً في ارتزاقه مستميحا
إذ عراه الضنى فعاد طليحا ورمته يد السقام طريحا
جسمه من سقامه في اضطراب
بات يبكي إذا له الليل آوى بعيون من السهاد نشاوى
نترى وهو بالبكا يتداوى قطرات من عينه تتهاوى
كشهاب ينقض إثر شهاب
إن سقماً به وعدماً ألما تركاه يذوب يوماً فيوما
فهو حيناً يشكو إلى السقم عدما وهو يشكو حينا الى العدم سقما
باكياً من كليهما بانتحاب
ظل يشكو للاخت ضعفاً وعجزا إذ تعزيه وهو لا يتعزى
أيها الاخت عز صبرى عزا إن للداء فى المفاصل وخزا
مثل طعن القنا ووخز الحراب
قد تمادى به السقام وطالا وتراءى له الشفاء محالا
اذ قلاباً من السقام استحالا كان هيناً فصار داء عضالا
ناشباً فى الفؤاد كالنشاب

* * *

ظل ملقى وأعوزته المطاعم موثقاً من سقامه بالادامم
منفقا عند ذاك بعض دراهم ربحتها من غزلها الاخت فاطم
قبل أن يبتلى بهذا المصاب
قال والاخت اخبرته بأن قد كربت عندها الدراهم تنفد
اخبرى السقم عله يتبعد أيها السقم خل عيشي المنكد
لا تعقني في عيشتى عن طلابي

رام خبزاً والجوع أذكى الاوارا في حشاه فعللته انتظارا
ثم جاءت بالماء تبدي اعتذارا وهل الماء وهو يطفىء نارا
يطفىء الجوع ذاكيا في التهاب

خرجت فاطم الى جارتيها وهي تذرى الدموع من مقلتيها
فأبانت برقة حالتيها من سقام ومن سعار لديها
وشكت بعد ذا خلو الوطاب

فانثنت وهي بين ذل وعز تحمل التمر في يد فوق خبز
وبأخرى سمنا وبعض أرز منحوها به وذو العرش يجزى
من أعان الفقير حسن الثواب

* * *

ليلة تنشر العواصف ذعرا في دجاها حيث السحاب اكفهرا
ذا هزيم يمج في الاذن وقرا حين تبدي صوالج البرق تترى
كهر بائية سرت في السحاب

مد فيها ذاك المريض الاكفا في فراش به على الموت أوفى
طرفه كالشها يبين ويخفى حين يغضى طرفا ويفتح طرفا
عاجزاً عن تكلم وخطاب

فدعته والعين تذرى الدموعا اخته ، وهي قلبها قد ريعا
يا أخي أنت ساكت أفجوعا ساكت انت يا اخي ام هجوعا
فاشفني يا أخي برجع الجواب

فرأت منه انه لا يجيب فتدانت والدمع منها صبيب
ثم أصغت وفي الفؤاد وجيب ثم هابت والموت شيء مهيب
ثم قامت بخشية وارتياب

خطبة الاستاذ فكري أباظة[1]

في تياترو الكورسال

شهدت القاهرة أمس في الساعة السادسة مساء بعد زمن طويل عطلت فيه المنابر حفلة سياسية كبرى لم تشهدها منذ اعوام . فقد احتشد في مسرح الكورسال الرحب الواسع الارجاء مالا يقل عن أربعة آلاف مستمع وكان الخطيب هوالاستاذ فكري اباظه . والمدهش ان تذاكر الدعوة وزعت بطريقة خفية بارعة لم يتصل خبرها برجال البوليس حتى أصبحوا امام الامر الواقع . وعبثا حاولوا فض الاجتماع . فان الحماسة كانت جنونية فوق التصور . وكان في مقدمة الحاضرين اصحاب السمو الامير عمر طوسن . والامير عمر ابراهيم . والامير اسماعيل داود . ودولة عدلى يكن باشا . ومحمد محمود باشا . واقطاب الوفد والاحرار والحزب الوطني . والسيدة الجليلة هدى هانم شعراوي . وشريفة هانم رياض . وغيرهما من السيدات زعيمات النهضة النسوية . وهذا هو نص الخطاب الجامع :

سيداتى . سادتى :

الله اكبر ! الله اكبر ! ولله الحمد

اهتفوا من صميم الفؤاد هتافا يزحف زحف العاصفة على « لاظوغلى » اهتفوا صائحين . . . لتحيى الحرية !! (هتاف وتصفيق حاد متواصل)

التقينا أخيراً أيها السادة بعد طول الفراق حول المنبر المقدس . منبر الخطابة العامر بروح الله ، وأمر الله ، ولو طال الامد ! (تصفيق)

حذار حذارأن تستمروا مندفعين وراء قلوبكم . متفززين بفعل عواطفكم . متحمسين بعد سجن اللسان ، واغلاق الآذان ، واقفال البيان ، والغاء الأذهان

أخشى أن يكشف التصفيق مخبأ الحرية . فيقتحم الكونستبلات الابواب

(أصوات لا . لا . ليكن ما يكون . .)

حسنا . سيداتى وسادتى : احرسوا الابواب بالقلوب . فلن تقوى عليها العصى ولن يقوى عليها الطوب . . .

خبرونى . خبرونى : بأى حق فى شريعة الدين . وشريعة القانون . وشريعة العدل والانصاف

---

(١) احسن ما كتبت من ناحية واحدة ، هي تصوير الخيال في صورة حقيقية جازت على الكثيرين وعلى المثقفين بنوع خاص . فظنوا انه حدث بالفعل اجتماع خطير في ملهى « الكورسال » مع ان الحكومة اذ ذاك كانت تمنع كل اجتماع فضلا عن ان « الكورسال » كان حينئذ قد هدم ولم يخلف الا الانقاض . . .

والمساواة . يخطب دولة « صدقى باشا » الف خطبة وتحرم المعارضة من خطبة ؟

خبرونى . خبرونى : بأى حق يجول دولته ويصول . ويلف ويدور . ويكرم ويعظم . ويامر « الراديو » بنقل الكلام الى بورسعيد وأسوان وبنها وقنا . ويحرمنا نحن حتى أمس — من مجرد الهمس ؟!! (ضحك وتصفيق طويل)

خبرونى . خبرونى : بأى حق يظل الناس ما يقرب من ثلاثة أعوام يسمعون (المواويل) و (المنولوجات) و (الطقاطيق) من « مطرب » واحد . ومن « تخت » واحد . ومن « مؤلف » واحد . والناس فى ذوق السماع مختلفو المشارب ، متباينو الامزجة . والسماع لذة تمتزج بالمشاعر والعواطف وبحرية الاختيار ؟! وكيف يشنف الاذان — ويملأ الاذهان — ويزيل الاشجان : مطرب بيننا وبينه هوة — و « يغنى بالقوة » ؟!! (ضحك وهتاف متواصل)

صدق محمد عثمان أو عبده الحمولى اذ غنى وقال :

عشنا وشفنا سنين ومين عاش يشوف العجب !

(أصوات : الله ! الله ! . كمان كمان . . .)

سيداتى . سادتى . . .

(هنا يشرب الخطيب كوب ماء فيهتف السامعون : بالهنا والشفا . .)

أشكركم سادتى وأعتذر اليكم من كثرة شرب الماء . انى متعطش الى ماء النيل هذه الايام فانى أشعر أن النيل بفضل خزان جبل الاولياء ومشروع بحيرة تسانا سيجف وينضب ! . . .

(تصفيق حاد وهتاف : النيل لنا !)

أخشى سادتى اذا استمر الحال على هذا المنوال أن نموت من الجوع — وأن نموت من العطش ! ولكن « الله » سبحانه وتعالى لن يرضى بهذا و « رسل الله » صلى الله عليهم وسلم لن يرضوا بهذا . وان رضى به « أولو الامر » منكم ! ! ! (تصفيق طويل)

سيداتى وسادتى . . .

راجت فى البلد إشاعة جبارة منذ شهر واحد بان « قصر الدوبارة » و « لاظوغلى » قد وضعا مسودة المعاهدة . ثم قيل لنا انهم « بيضوها » (ضحك وهتاف عال . . .)

. . . ثم قيل لنا انهم « بيضوها » واستحضروا من الخارج « قلم لوكارنو » فقبض عليه السير برسى لورين ووضع على اليمين حرف « الباء » : ثم قبض على القلم دولة صدقى باشا ووضع على اليسار حرف « الصاد » . . .

صحيح هذا سيداتى وسادتى . ولكن بارك الله فى « عبد العزيز باشا فهمى » وبارك الله فى زملاء « عبد العزيز باشا فهمى » فقد شطبوا « بقلمهم الاحمر » العادل حرفى « الباء » و « الصاد » و « نقضوا » بحكمهم معاهدة الاستقلال والاستعباد ! !!

(تصفيق حاد متواصل استمر خمس دقائق)

فشلت المعاهدة « بالجملة » فهم يتعاهدون اليوم « بالقطاعى » ... وسعر «القطاعى» أيها السادة كسعر السمن ، والسكر ، والصابون ، والرز ، أغلى على مصر وعلى أبناء مصر من سعر « الجملة » ؟ !

ولكنى أصرح من فوق هذا المنبر واهيب بسير برسى لورين صائحاً : حذار حذار من بطلان الصفقة . راجع جيداً توكيل المتعاقدين وابحث فى القوانين — « عقود الفضوليين » ! ..

(تصفيق وهتاف)

سيداتى وسادتى :

ان ثقتنا فى القضاء ثقة عظيمة . وابشركم بأنى قدمت « للمجلس الحسبى » طلباً بتوقيع «الحجر» على الحكومة ، وقد حدد رئيس المجلس جلسة قريبة هى على كل حال قبل نظر الميزانية . وثقتى عظيمة بأننى سأربح الدعوى . بقى عليكم أن توافقونى فى اختيار «القيم» ومن يكون الاجدر بتولى القوامة ، ودفع الكارثة ، واصلاح المختل والمعتل ، وانقاذ حالتنا المالية

سيداتى وسادتى :

كل شىء يسير وفق المرام فى هذا الشهر المبارك المكرم . وقد استجاب الله على ما أظن دعاء الصائمين المصلين المزكين الطاهرين . بقى امر واحد ينغص عليكم وعلى عيشى وعيشكم — بقى امر واحد لن يغتفره لكم خالقكم وبارئكم — بقى امر واحد سيكون عار الاجيال القادمة ولطخة الجيل الحاضر — بقى امر واحد يكسر العين ويكسر الخاطر : بقى هذا الشقاق المتسرب الى صفوف الامة . بقى الوسواس الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس . بقى الخلاف الذى ينشب فى المعسكر وتشتعل ناره فى المعتقل — بقى « الشروع فى الانتحار » لغير سبب ولغير موجب — بقيت « الهزيمة » التى تسبق المعركة الفاصلة . ان « العيد » على الابواب فما انبلها وما اجلها فرصة تنتهزونها للوئام وللسلام . ان الوطن يناديكم متوسلا بأرق الاصوات ، وأحسن الرجاء ، فان ليتم نداءه ، واجبتم رجاءه ، عرفكم فى وقت الشدة رجالا وابطالا . وان وليتم للوطن ظهوركم ، وتماديتم فى خلافكم حلت عليكم لعنته — واصابتكم جميعاً نقمته ! !

هيا . هيا . وبادروا اليه قبل أن يحمل « الدخيل » نعشه ، ويواريه رمسه ، فيسجل التاريخ انكم قاتلوه ...

ان « مصر » تحتضر والدواء فى أيدى الابناء فمن منكم يمد يده ؟ !

إيه ايتها « الرجولة » انى ابحث عنك فهل تظهرين ؟ . . .

ان « مصر » فى الانتظار !!!

شبابنا في المجتمع (١)

بقلم الاستاذ محمود أبو العيون

ان الحروب والثورات التي هي أصل من أصول التخريب في العالم، كما قد تكون مصدر نكبة لأمة من الامم، قد تكون لاخرى مصدر خير وبركة، فمن يقرأ تاريخ أوربا في القرن التاسع عشر يرى ذلك واضحاً كل الوضوح. وهذه الحرب العالمية الكبرى أحيت عالما جديداً لم يكن مذكوراً في التاريخ، وأماتت أقواما آخرين، ومصر مثلا، كانت ثورتها العسكرية سنة ١٨٨٢ نكبة لها من أعظم النكبات في تاريخ الامم، نكبة قلبت أوضاعها، وغيرت نظام حياتها الذي أقامه منقذ مصر العظيم محمد علي. وكانت بركة وخيراً لأمة أخرى. وجاءت بعدها ثورة الشعب سنة ١٩١٩ ونتائجها من الناحية السياسية يقدرها دهاقين السياسة، أما هذا الكاتب فانه لا يشك في أن نتائجها من النواحي الاخرى المختلفة كانت من اكبر الشرور والويلات على مصر. فالناحية الدينية والناحية الخلقية والناحية الاجتماعية قد تصدعت، وعصفت بها العواصف والارزاء. فما كنا نراه من الصفات الحميدة، والآثار المجيدة من تلك النواحي، أصبحت الآن لا يحلها الناس فيما بينهم محل الاستحسان، ولا ينظرون اليها بعين القبول بل قابلوها بما شاءوا من الاغفال والاهمال

« ان الفضائل والاخلاق والآثار الادبية لا تتأثر بالظروف، ولا حكم للحوادث عليها. فهي هي ثابتة، ولكن تقديرها، ووضعها في منزلتها الملائمة لشرفها، والوقوف بها عند حدها، كل ذلك يختلف باختلاف الاغراض التي تتولد في النفوس، والاخطاء في الاحكام، وعدم الانصاف في التقدير » فالنفوس قبل هذا العهد كانت بعيدة عن الاغراض والهوى، فكانت احكام الدين والاخلاق، وقواعد الاجتماع التي تواضعت عليها الامة تدرك مقبولة معتدلة. أما الآن فقد غشي الناس ما غشيهم من طغيان المدنية، وسحرهم من بهرجها الزائف ما جعلهم في فتنة وضلالة، فانقلبوا ساخرين بكل كمال ذاتي، وشرف معنوي

ان الناس بما أصابهم من الشكوك والريب فقدوا الثقة في كل شيء حتى في أنفسهم وأصبحوا يقفون بازاء ضرورات الحياة موقفاً حرجاً. جعلهم من بعضهم في شبه عزلة، لا يكاد يلوي

---

(١) اخترناها لفضيلته من ضمن عشر مقالات كتبت هذا العام في صحيفة الاهرام تحت عنوان: « يا ضيعة الاخلاق في عهد الحرية »

أحدهم على أخيه الا لمصلحة مشتركة ، ولقد تحدث صديقاً لك فى عمل انسانى ، أو تطلب اليه اقامة حق مهضوم ، فيرفع جراميزه ، ولا تكاد تقع له على ظل

الشباب المصرى الذى كان زينة الشباب ومفخرة الاجيال ، والذى تقحم الثورة افتداء لعزة الوطن من الضيم ، وشرف الحرية من الاذلال ، والذى استعذب الآلام فى سبيل العقيـــدة ، وضرب المثل الخالد للتضحية ، والثقة بالنفس ، أصبح هذا الشباب نفسه بعد الثورة والحرية أرجوحة فى يد الاهواء وعبث الايام ، فقد قداسة العقيدة ، وشرف الحرية وعزة الوطن

ان القحط الخلقى قد أصاب اكثر جماعة الشباب ، فأوهى فيهم الروابط الاجتماعية والشعور بالواجب ، وان الرذائل التى تمكنت من نفوس الكثيرين وانغمسوا فى حمأتها جعلتهم كالوحوش الضارية ، بل هم أحق منها بصفة التوحش ، فان كل نوع منها يعيش بسلام وأمان ، ولا سلام ولا أمان بيننا

أصبح الكثير من شبابنا يحذقون الملق والكذب والنفاق ، ويألفون الذلة والهوان ، وأصبحت الكفايات والمؤهلات بمقدار ما يبذله الشاب لرئيسه من التخضع والمداهنة والرشوة ، الرشوة التى قيل فيها اذا دخلت من الباب ، خرجت الامانة من الطاق ! . وبعد ان كانت قيمة العاملين ما يحسنونه من الاعمال ، أصبحت قيمتهم بمقدار ما يقدمونه من وسائل الزلفى للرؤساء ولو غير شريفة ! وبذلك تعلم سر ايثار هذه « الإمعات » على غيرها من النابهين ، وسر فقد الامانة والاخلاص فى العمل ، وسر انجاز المسائل ذات الاختصاص على يد هؤلاء الاغرار ، وظهور الفضائح والمعرات بسبب ذلك فى الدولة ، وسر كثرة الموظفين على قلة الوظائف ، ثم المحاباة أصبحت هى العلة وهى الداء

هذا الشاب الذى كان يخطب على منبر الثورة ويقول : أيها الشيوخ الواهنون الذين عشتم تحت ظل الاستعباد ، وأحنيتم رءوسكم الى الغاصبين ، وسلمتم البضاعة الى الاعداء ! دعوا الكراسى للشباب فانهم أمناء على تركة الماضى النبيل ، ورسل المستقبل الحافل بالحياة والنور

هذا الشاب ، وزملاؤه شباب الثورة ، مكنت لهم الايام ، وملكتهم كبريات مناصب الدولة فأصبحوا شراً على المناصب وعلى الاخلاق وعلى الوطن ، وكأنهم بسبب ما نالوه من رياسة الدنيا وما صاروا اليه من النخوة والكبرياء تمثلوا انهم تحللوا من ذمة الماضى وعهد الحاضر وتكاليف المستقبل ، وتخيلوا ان الحرية هى تحطيم قيود الذمم ورباطات الشرف ، فكانوا أسوأ حالا من العبيد الارقاء ، إلا من عصمه الله تعالى بعزة النفس وشرف الضمير

وانك لا تجد بين زمر الشباب المتعلم الا القليل ، من لا تنازعه نفسه الى فجور ، ولا تفتح له عين لريبة ، ولا يلحقه فى ذلك ذم ، ولا تناله وصمة . ولقد نظم كثير من أولئك الشباب

للما آثم والمشاين دوراً ونوادى يختلف اليها الجنسان ، وفى ساعة يغفل فيها الزمان ، تستباح كرامات وتمتهن أعراض !

ومن ذلك نشأت المشكلات العصرية ، وفيها العظات البالغات لشباب هذا البلد وشوابها . وقد تناول مكاتب المقطم الاسكندرى فى الاسبوع الماضى ثلاث وقائع وقعت فى الثغر ، نذكر واقعة منها ففيها العبرة الكافية :

ذهب نجل اميرة ، وهو معروف بالبذخ والتبذير ، الى ناد يجتمع فيه « أبناء الذوات وبناتهم » لقضاء السهرة والرقص واللهو ، وجلس مع فتاة الى مائدة فى النادى ، واذا باجنبى من كبار التجار يصل فى تلك اللحظة ويطلب من الشاب ان يخلى المكان ، لان الفتاة له لا لغيره . واشتد بهما الكلام واللجاج . فانهال الشاب باللكم على الاجنبى حتى كاد يرميه على الارض لولا ان تداركه ضابط أجنبى فاشتبك مع الشاب بالملاكمة ، وتدخل البوليس ، وسيق الجميع الى القسم ، وتولت النيابة التحقيق ، أما الضابط فقبل اعتذار الشاب وانسحب من القضية التى أحالتها النيابة الى محكمة الجنح حيث يمثل الوجيهان من أعيان المدينة أمامها بعد ما ثبت للنيابة ان الاجنبى لا يتمتع بالامتيازات

وعلم مكاتب المقطم ان أهل الفريقين يسعون للصلح قبل المحاكمة حذراً من العواقب والقيل والقال

ومن البلية ان تجد نفوس أولئك الشباب قد مرضت مرضاً خلقياً ، لا أرى علاجه هيناً . فهم لا يرون عيباً فى اقتراف أى شائنة تكون بعيدة عن العمل الرسمى لان تلك فى نظرهم الخاطىء مسائل شخصية لا تسىء الى العمل ولا الى المجتمع فى شىء ! وأعجب ان تكون حالهم على ما وصفنا ، ثم يؤمنون فى وظائفهم على دانق أو سحتوت . وهل الذمم تتجزأ ، والضمائر تتقسم ؟

وفقد كثير من الشباب مضاء العزيمة وشجاعة النفس ، والدأب على الصعاب . فقلما يزاول عملا عظيما أو يعالج من الامور جسيما ، فخانه الحظ أو استعصت عليه الغاية ، الا تصدع قلبه وطار شعاعاً ، وقعد ملوما محسوراً ، وربما عمد الى الانتحار ! وذلك ضعف خلقى بعيد المدى

ولقد نضرب المثل للشجاعة ، وقوة النضال والمثابرة ، بالرومى الافاقى يفد الى هذه البلاد معدما مكدوداً ، فيظل يعالج شؤون الحياة خاسراً ورابحاً وهو ينازل الحوادث ويعارك القدر ، حتى يخرج من المعمعة ظافراً منصوراً

ثم التعاون والتكافل والتعاضد والتضامن أصبحت هذه أسماء لامسميات لها فى المجتمع الذى يمثله رجال الثورة وشبابها الأمناء ! كانوا كتلة واحدة . لهم غرض واحد . وأمنية واحدة . هى خدمة الوطن من طريق الحرية والاستقلال . فما بالهم تفرقوا طرائق قدداً . وما بالهم أصبحوا

أحزاباً وشيعاً . وما بالهم مزقوا جسم الوطن المسكين . وأعملوا فيه السلاح وأثخنوه بالجراح . وما تلك الشهوة التي ملكت عليهم نفوسهم واستهوت أفئدتهم ؟ لقد صرنا الى شر ما تصاب به الامم من التفكك والانحلال . « فهذا البعض لا يربح الا بخسارة الآخر . وهذا القوى يدوس الضعيف . والضعيف يدوس الاضعف . وكل ميال الى ضرر أخيه . يعتبر الهفوة منه ذنباً عظيما . والزلة جرماً كبيراً . وتجاوز ذلك إلى الافراد فى المعاملات وفى الوظائف وفى الحالات البيتية . أصبح الرئيس لا يثق بمرءوسه ، والمرءوس لا يأمن رئيسه . وأصبح الأخ لا يأمن أخاه ، والابن يستطيل عمر أبيه ويعده بالأيام للميراث . وصار الضيف لا يأمن مضيفه ، ولا الصهر صهره . وجعل الزوج يفكر فى التخلص من زوجه ، والزوجة تدبر المكايد لزوجها . والجار يخون جاره . والشريك يغش شريكه » . وما الى ذلك من نقض العهود ، وخلف الوعود والسلب والنهب وثلم الأعراض

ومن الغريب ان الجمهور فى هذا البلد يدرك ما وصل اليه من هبوط الأخلاق والانحلال . ويتخوف سوء المنقلب . وما من عاقل تقابله الا شكا اليك سوء الحال وطالع لك ما وراء العواقب . ومع ذلك تجد القوم لا يعملون على تدارك الخطر ورأب الصدع . وذلك لعمرى آية الهزيمة وعلامة الادبار

هذه الآفة الاجتماعية ، وهى التحط الخلقى والتحلل من قيود الأخلاق والفضيلة والدين ، ليست مقصورة على فئة دون فئة . ولا على طبقة دون طبقة بل الكل سواسية فى البلية . « وكأن الناس صاح فيهم صائح الشر فلبوه من كل مكان ، وكأن القوانين والشرائع ضعفت عن معالجة الحالة وعجزت عن صد سيلها الجارف وتيارها المتدفق »

فهل تجد ـ لا أراك الله مكروهاً ـ تفككا اكثر من هذا التفكك . وهل تجد ثلمة فى بناء المجتمع أوسع من هذه الثلمة . وهل هذا المجتمع يقال فيه مجتمع مريض يرجى له شفاء ؟ أو أنه مجتمع أصيب بالشلل والفناء ؟

وهل تلك الحرية التى أصبناها كانت علينا نعمة سابغة ! أم نقمة شاملة ؟ « الحق أبلج والباطل لجلج ! »

في الأخلاق

* نحن لسنا محتاجين لكثير من العلم . ولكنا محتاجون لكثير من الأخلاق الفاضلة
* كل شريعة تؤسس على فساد الأخلاق فهى شريعة باطلة

سعد زغلول

الازهار المداسة (١)

بقلم الامير مصطفى الشهابى

كنت البارحة أتحدر الى دمشق من دارى فى سفح (قاسيون) فاسترعى نظرى جار يدوس أزهاراً ذابلة ملقاة فى الطريق ، منها ورد وخطمى وخشخاش ومرغريتا وغيرها . وتتخللها زهرات صغيرات من الفل ، وكلها قد حال لونها وفسدت رائحتها وزالت نضرتها وطاحت بهجتها . فتذكرت على الفور قصيدة مرقصة عنوانها « السجينة » لشاعرنا العربى الامريكى الرقيق « ايليا ابو ماضى » نشرها فى المجلد الخامس والستين من المقتطف ووصف بها زهرة كانت تعيش فى الحقل قريرة العين هادئة البال سعيدة بالتراب الغنى والهواء النقى والطل الندى ، ونور الشمس ودفئها وتراقص الاغصان على موسيقى الرياح ، وتطاير الفراش فى النهار وتهاوى النيازك فى الليل . فاذا بغاو من غواة الزهر يقطفها مغتبطاً بها فيضعها فى زهرية ويسجنها فى غرفة . فتتألم وتتفجع وتستغيث من نظرات الفساق وأنوف النشاق وفجور المشاق . فلا رقص الكواعب فى القصر كرقص الفراش فى الحقل ، ولا المصابيح المتلألئة فى الابهاء كنور الحباحب الضعيف فى الدجى ، ولا الماء الغزير الذى تسقاه فى الزهرية كقطرات الندى فى منبتها ، ولا عطر الحسان فى عبقه كريح التراب فى فغوته . ويشتد السجن على تلك الزهرة المسكينة فتصفر وتذوى وهى فى شرخ شبابها والفصل ربيع والهواء عليل ، حتى اذا ذهب رواؤها وعز شفاؤها طرحت خارج الدار فديست بالنعال

نظرت الى الجار يطأ تلك الازهار دون أن يتعذر أو يتخشع ، فدنوت منه وبدأت الحديث بتلك القصيدة العصماء ثم قلت : تدرى ياصاح أن الازهار الجميلة النادرة نبتات يظل الزهارون يتعاهدونها سنين عديدة بالتنقيل تارة والتهجين أخرى ، ثم بالانتخاب والاصطفاء حتى تجىء كما يريدون من حيث تلوينها وتزيينها وتبريقها ، وأنهم بعد هذا يبيعون النبتة الواحدة من الصنف الجديد بعشرات من الجنيهات ؟ وهل علمت أننى قبل بضعة أيام بينما كنت عازماً على زيارة أسرة من الاسر لاح لى ألا أدخل الدار فارغ اليدين فصرت الى زهار فوالله مارضى أن يبيعنى باقة حقيرة يحملها الطفل فلا تثقله بأقل من ليرة سورية والناس فى ضيق والازمة مستحكمة الحلقات تشد على أعناق الناس وتمنع الكسرة من الرغيف عن حلوقهم ؟! وإذا استسهلت الليرة السورية فسل سهل بن هرون عنها يجبك بمثل ما أجاب الرجل الذى استعطاه درهماً وهو قوله : « لقد هونت الدرهم وهو

(١) اخترناها له . . .

طائع الله فى أرضه لايعصى وهو عشر العشرة والعشرة عشر المائة والمائة عشر الالف والالف دية المسلم . ألا ترى الى أين انتهى الدرهم الذى هونته . وهل بيوت الاموال الا درهم على درهم . . »

لقد عبد بعض المصريين الاقدمين اللوطس وتوهموا أن الاله (رع) يلد من زهرته . وقدسوا الجزيرة وتخيلوا (هاتور) تخرج من بين أوراقها لتجعل الناس من الخالدين . وسمى العلماء بعض الازهار باسم آلهة اليونان والرومان . واتخذ الناس كثيراً من أنواع الزهر علامات يدل كل منها على ضرب من النعوت والصفات المستحبة المستملحة. فالبنفسج للحشمة والورد للجمال وهكذا . وشبه الشعراء أعضاء الحبيب بصنوف الزهر فجعلوا الخدود كالورد واللحظ كالنرجس والشفة كالشقائق . أما بعض الهواة من الشعوب والملوك فقد خص كل منهم نفسه بزهرة أو بنبتة فكانت شعاراً له ودليلا عليه كالنخلة شعار العرب ، والاقحوان والكاميليا شعار اليابان تراها على نقودها وطوابعها ، كما ترى زهرة الآلام والزهرة الخالدة وعود الصليب على طوابع الصين . ولكم حفر النقاشون زهرة الزنبق على الاسلحة القديمة ، واعتز الانكليز بالوردة والارلنديون بالطرفيل واسبان غرناطة بالرمان وجمهورية البرتغال بالبرتقال

ولما رأيت الجار ساكتاً يصغى الى حديثى الطويل الممل استرسلت فيه قائلا :ـ

هلا أنعمت نظرك فى أوراق هذه النبتات التى تدوسها بنعالك وأدركت أشكالها العجيبة من بيضية وسنانية وسهمية ومستطيلة واهليلجية وكاملة ومفرضة الى عشرات من الصفات المختلفة ؟ وهذه الزهرات التى تعركها بحذائك ، هلا علمت أنها أجمل الاشياء على هذه الكرة وأنقاها وأحبها الى قلب الانسان بألوانها الزاهية الانيقة وأشكالها المنتظمة الرشيقة وطرق ازهرارها المتفاوتة ؟ وهل جال فى خلدك أن تدخل قبة الصخرة فى القدس أو المسجد الاموى فى دمشق فترى تراويق الزهر وتعاريج الورق فى زخرف عربى أخاذ ، ما برح ولن يبرح بهجة العين ودهشة المتأمل منذما صبغته اليد الصناع أيام كان الامويون ملوك الارض وسادة هذه الدنيا ؟ ثم هل عرجت على تدمر أو بعلبك فرأيت الازاهير كيف تنقش فى الصخر الاصم لشغف الناس بها ! أو جزت الصالحية على الفرات أو أفامية على مقربة من العاصى فالقيت بنظرة على تلك النباتات المزهرة التى كونوها من دقائق أحجار الفسيفساء ! ولكم نقش المصريون الاقدمون زهرة اللوطس وورقتها على هياكلهم وآنيتهم ونقودهم وحليهم . وكم سحرت أوراق الاقحوان فنانى اليونان والرومان فأوجدوها على أعمدة قصورهم وهياكلهم . ولم يكتف الاوربيون فى القرون الوسطى بهذا النبات بل نقشوا على جدران الكنائس زهر النيلوفر والسوسن والبنفسج وغيرها

ومالنا والناس نبحث عن حبهم للزهر فى الحقب الخوالى ؟ افلسنا نرى فى أيامنا هذه رجالا متأنقين لكل منهم زهرة خاصة به لاتفارق معطفه البتة ؟ ونرى كواعب من فواتن النساء لايستقبلن فى منازلهن إلا والزهر فى شعورهن أو فى نحورهن أو على أكتافهن حتى على خصورهن ؟! ولله در

الذي قال : إن الزهر يتبعنا من المهد الى اللحد . فاذا ولدت استقبلوك بالزهر واذا ختنت كللوك بالزهر واذا عيدت أهدوا اليك الزهر واذا أعرست غمروك بالزهر واذا انتقلت الى جوار ربك بعد عمر طويل حملوا الزهر أمام نعشك وفرشوا به قبرك أو نثروه عليه نثراً . وأى دار كبيرة تخلو من حديقة للازهار يتولاها بستانى لبق ؟ وهل بهجة الدار غير أزاهيرها الفتانة ؟ ومهما حقرت الدار وكان صاحبها من ذوى الفقر والخصاصة فهى لاتخلو من زهرة فى حوض أو فى أصيص يبسم لها صاحب الدار كلما مر من أمامها وشاهد كأسها السندسية وتويجها النضر وأسديتها المتوائبة ومدقتها المغمورة بمباهج الحياة . ورب بيت حقير فى المزرعة الصغيرة عرشوا على جدرانه الياسمين أو الورد أو زهرة الآلام أو اللبلاب أو الظيان أو أشباهها فكستها بأغصانها المتشابكة وأوراقها المخضلة وأزهارها الفتانة حتى صيرت البيت أروع فى العين من جلال القصر المنيف . ثم لابد لى أن أحدثك عن الزهارين وفنهم فى ايجاد الزهر المبكار والزهر المتأخر . وعن أسواق الزهر فى حواضر البلاد وعن بائعات الزهر ومنهن الجميلات المغريات اللواتى تكاد تفضلهن على ما يبعنه . وعن أعياد الزهر وكيف تنتهك فيها حرمة هذه المخلوقات الملائكية ليلهو ابن آدم بشقائها . وعما يستعمل من الازهار فى عيد الفطر وعيد الاضحى وعيد الشعانين وغيرها من الاعياد . وكل هذا يحتاج الى وقت طويل وانما نحن ننحدر الى دمشق وجارى الذى قصصت عليه هذا الحديث ساكت لم تتحرك له شفة . ولما هممت بالعودة إلى تعنيفه على وطئه للازهار الملقاة فى الطريق ما كان منه إلا أن قدم الى زهرة من الفل كانت فى يده وقال : « تمتع برائحتها اليوم وأعدها إلى غداً » ثم انصرف ما يبدىء وما يعيد . فلما كان الغد قرع على باب الدار باكراً وقال : « أين الفلة » فقلت : «ذبلت فألقيتها» قال : « ووطئتها أيضاً أو وطئها غيرك دون أن يتحرج أو يتأثم . فاعلم ياصاح أن هذا هو مصير كل حى فى هذه الدار الفانية وان كل ما تحدثت الى به البارحة عن قداسة الزهر ولزوم رعايته كلام اجوف لاطائل فيه . فالزهرة لها عمر محدود متى استوفته عادت الى التراب فاندمجت به فاغتذت بها زهرة ثانية الى أن تهرم هذه فتموت فيكون مصيرها مصير الاولى وهكذا . فأما والازهار بالغة أجلها سواء أكانت فى الحقل أم فى غرفتك أم على رأس غادة حسناء فمن البلاهة بمكان ألا تتمتع بها على الشكل الاثم . وما برح الضعيف مسخراً للقوى والحياة عراك بين الاحياء مستديم . ولو ان الانسان اقتصر على الاضرار بالازهار وعف عن ايذاء ابناء جنسه لكان الخطب أهون والبلاء أيسر . ولكن هيهات . . . »

يشم نداماى الرياحين بينهم وذكرك ريحانى اذا دارت الكاس
ولو كان يلقى الناس من لاعج الهوى عشير الذى ألقى اذن هلك الناس

العباس بن الاحنف

ابراهام لنكولن

بقلم الدكتور احمد فريد رفاعي

لا نستطيع أن نزعم بحق أنه فى مكنتنا إيفاء حق « ابراهام لنكولن » من البحث والتحليل فى موجز تاريخى كالذى نحاول كتابته عنه فى هذه الصفحات القليلة . ومن الحق علينا أن نعترف بادىء ذى بدىء — احتراماً للتاريخ والعلم ، واحتراماً للبطل الذى نكتب عنه ، ولأنفسنا — بعجزنا عن استيعاب حياة ذلك الرجل العظيم ، والمفكر الكبير ، والمصلح الجرىء ، التى تملأ القلوب والانظار والأسماع هيبة وروعه وجلالا . ذلك لأن حياة العظيم عظيمة مثله : فما هى لعمركم إلا سلسلة متصلة الحلقات متعددة الوجهات ، مترعة بأجل الدروس وأمتع العظات ، وليس الى حصرها من سبيل ، وليس دون الانتفاع بسننها ، والاهتداء بسنى ضوئها ، من حد ولا نهاية . وإنما قصارى ما نرمى اليه ونرجوه لشبابنا ، ولفلذات أكبادنا ، وعدة آمالنا فى مستقبلنا ، أن يلموا معنا إلمامة متواضعة ، بصاحب هذه السيرة المتواضعة ، الذى يكفيه من فخر سرمدى ، ومجد أبدى ، ما أصابه فى أخريات جهوده المتواصلة من توطيد عرى الاتحاد بين بلدان أمته ، وتحرير نصف أبناء جلدته . . . كلا بل تحريره نصف البشرية قاطبة من ربقة الرق والاستعباد ، ونير الاجحاف والاستبداد ، الى نور الحرية والاخاء والمساواة . . . آملين أن نهتدى جميعاً بهديه ، فنعمل متكاتفين متساندين على ما فيه خدمة الاوطان ومحبة الانسان لأخيه الانسان

ولد بطلنا « لنكولن » الرئيس السادس عشر للجمهورية الأمريكية فى ١٢ فبراير سنة ١٨٠٩ ولسنا نحفل كثيراً بأن نقف على سنة ميلاده بقدر حفلنا بتتبعه فى توقله ذرى المجد ، ومثابرته الدءوب فى خدمة الانسانية ، وبقدر ما نحفل بدرس عوامل عصاميته ، وتفهم صريح سياسته ، والاحتذاء باصالته ، والاقتداء بكياسته ، وبقدر ما نحفل باشباع نفوسنا وأرواحنا وقلوبنا من نزيه طعمته ، وبرىء وطنيته ، ونبيل طويته ، وبقدر حفلنا أن نكون على غراره وقالبه ، نعيش للوطن ، ومن أجل الوطن وفى سبيل الوطن ، ونحيا للواجب ، ومن أجل الواجب ، وفى سبيل الواجب

لقد نشأ « لنكولن » فى حجر العوز والفاقة (يقوده الامل ويسوقه الرجاء ، وبين جنبيه همة

عالية ، ونفس كبيرة . فصهرته يد الزمن القاسية ، اذ ضربه الدهر بضرباته ، ورماه بنكباته ، فكونت من نفسيته النقية ، وسجاياه الرضية ، وقلبه الرءوم ، وسعة أعطافه الحدبة الرحيمة ، الرجل العظيم حقا ، والبطل النزيه السمعة الحسن الاحدوثة ، المتوثب العزيمة ، والمستحصد الهمة . كونت منه حمال الأعباء ، طلاع الثنايا . كونت منه رجلا حلب الدهر أشطره (١) . كونت منه زعيم الشعب ومعلمه ومدرب الوطن وخادمه . وكونت منه حاكم الامة فى غير صلف ولا اغترار ، ولاجبروت ولا استكبار ، كونت منه أمة فى رجل ورجلا فى أمة ، وأخيراً كونت منه المعنى الخالد للوطنية الخالدة ، والرمز الصادق للعزيمة الصادقة . كونت منه المبدأ الحق لهذا الخلق ألا وهو « الفناء الشخصى إزاء الصالح القومى »

أى شبابنا الناهض :

ليست العظمة الحقة أن يولد الرجل معما مخولا ، ولا هي فى عراقة الارومة والنجار ، وسعة الثروة والعقار ، ولا هي فى أن ينشأ الانسان سرياً يشار الى هيله (٢) وهيلمانه ، وطمه ورمه بالبنان (٣) ولا فى أن يصيب من غفوة الدهر وغفلته قرن الكلأ (٤) ، ولا فى أن يستمتع بما فى الحياة من هىء وجىء (٥) . كلا وربكم ! وإنما هي فيما هو أنبل واسمى : انها فى الخلق . فى الكدح فى العمل . ثم هي لعمركم فى الايمان بما فى أعناقنا جميعاً — مهما تباينت أسناننا ، واختلفت أعمالنا ، وتفاوتت مراتبنا — من واجبات نحو الوطن وأبناء الوطن

أى شبابنا الناهضين :

ليس فى الفقر من هنة ولاعاب . إنما الهنة والعاب فى أن يكون الرجل عالة على غيره . قعدة جثمة (٦) لا يعى مايراد ولا ما يشاد . و « ابراهام لنكولن » لم يقعد به فقر أبيه النجار المزارع المسكين الذى كان يذرع فضاء الارض عساه يجد مزرعة تقيم من أوده وتسعفه بما يسد الرمق . بل كان لآبه (٧) الصغير وهو اسم « ابراهام لنكولن » منذ ميعة شبابه وطراوة إهابه — كان له من عمله المتواصل وجده الدائم هامة الفخار وسمة الاعتبار بين اللدات والاقران . فلن يقعد بالرجل فقره بل جهده . ولن يسمو به جاهه أو ماله . وإنما تسمو به مواهبه وكفايته وفعاله

ولننتقل الآن أبناءنا الاعزاء الى مسألة أخرى جديرة باكبابكم ودرسكم ، حرية بانتباهكم وتوثب همكم ، قمينة باقبالكم وانعامكم ، الا وهى أثر المرأة الفاضلة فى تكوين الرجل الفاضل . وللمرأة الكاملة الاثر الاول فى تكوين النزعة الخلقية الاولى . لما لها من اليد الطولى فى امداد الوطن بجند الوطن الأصحاء ، وكماة الوطن الاقوياء ، ومحرري الوطن الاوفياء

---

(١) يقال للرجل المجرب للامور : « قد حلب الدهر أشطره » أى قد قاسى الشدائد والرخاء وتقلب فى الفقر والغنى (٢) أى المال الكثير (٣) اشارة الى كثرة المال وتنوعه (٤) يقال لمن اصاب مالا وافراً لم يصبه سواه : اصاب فلان قرن الكلأ (٥) الهىء : الدعاء الى الطعام . والجىء : الدعاء الى الشراب (٦) الجثمة : النؤوم الذي لا يبالى (٧) (Abé)

فقد ماتت ام « ابراهام لنكولن » وهو لم يعد التاسعة من عمره . ماتت ولاطبيب يعالجها ولا قسيس يواسيها . ماتت فعمل لنكولن مع والده على تجهيز كفنها ، واعداد الوسائل اللازمة لدفنها

تلك صدمة عنيفة لا يقوى على تحملها قلب صبي ناشيء مثل « لنكولن » . ولتلك الصدمة بلا ريب آثارها الحسنة إلى جانب أثرها المادي السيء . فليس من شك أن لنكولن سيتذوق من بعدها معنى الاحتمال والجلد والصبر على المكاره . وليس من شك أنها ستبذر في قلبه الكليم وفؤاده الكسير معاني الرحمة والحنان والبر والاحسان . ومع هذا فان القدر العادل لم يحرم لنكولن من عطف الأم ، وان كان قد حرمه من شخصها . ذلك انه قد حدب عليه قلب زوج أبيه الجديدة التي أتيح لها أن تعيش فيما بعد فترى بعينيها آبه (١) الذي علمته صغيراً وعطفت عليه يافعاً . تراه وهو الرئيس الأعلى للجمهورية الامريكية في المرتين السادسة عشرة والسابعة عشرة تراه رئيساً عادلا يشرفه على الدوام أن يدعو أمته الى المساواة السياسية العادلة ، لانه يرى في المساواة بقاء الامم وسعادة الافراد . تراه في مركز الحاكم بأمره ، من تعنو له الوجوه وتخضع له الرقاب ، فلا يحكم الا حقا وعدلا ، ولا يسير بين الرعية تيها وعجبا ، بل كان رمز الادب اليانع ، والخلق المتواضع . تراه بين ظهرانى جنده في حومة الوغى مواسياً ومشجعاً بلا ازورار جناب ، أو رصد أبواب ، وكثرة حجاب . . كما يفعل غيره من عتاة الولاة الذين يظنون أنهم مخلوقون من طينة غير طينة رعيتهم ، بل كان لهم نعم الرفيق والزميل . ونعم المعين والظهير ، ونعم الراعي المسئول عن رعيته

أي شبابنا الناهضين :

ان في حب « لنكولن » لزوج أبيه معنى سامياً فلا يعزبن عن أذهانكم . وجدير بكم أن تنعموا فيه طويلا . لقد ماتت والدته وأراد القدر أن يبني والده من حليلة أخرى لتعمر بيته وترفه عنه متاعب الحياة . ولتضيء بنورها جوه القاتم ووكره الحالك . فلماذا يمقتها ويعمل على إيذائها ؟

إنها زوج أبيه فهي ضئو والدته وبديلتها فلم لا يشب على حبها والتعلق بهـا ، اما ارضاء لعاطفة والده ، أو احتراماً لمركز الامومة المضحية التي هي رمز لها على الدوام ؟

ثم ماذنب المرأة في ذلك الصنيع وهي أجدر على الدوام بالعطف والتقدير فاذكروا معشر الشباب والشابات مركز لنكولن من زوج أبيه ومكانها منه . وانظروا نظرة رثاء لمن ينهج غير منهجها ونظرة مقت وكره لتلك الحوادث الاجرامية التي تقع الفينة بعد الفينة في مثل ذلك الموقف الذي هو أخلق بالحنان والرعاية ، وأولى بالبر والعناية

فعليكم بالتسامح والوفاء . وعمروا قلوبكم بالاخلاص والولاء ، وكونوا لآبائكم وزوجاتهم أبر الابناء

---

(١) لا براهام لنكولن لقب Abé اثناء صغره كما اسلفنا

الاسترقاق عند المصريين وفي الاسلام

بقلم سعادة احمد شفيق باشا

لعلى لا أستطيع التفضيل بين « أحسن ما كتبته » وبين غيره لأنى — كما تعلمون — لست الكاتب الفنى الذى يعنى بتنميق العبارة وتزيين الاسلوب بانواع الاستعارات والتشبيهات والمحسنات البديعية ، ولكننى عالجت الكتابة مذ عالجتها لتحمل حقيقة علمية أو تاريخية ، ولتؤدى رأياً عن لى أو حكما استخلصته من وقائع شهدتها ورويتها أو نحو ذلك

ولئن كان قد تفضل الكاتبان الكبيران الاستاذ توفيق دياب والاستاذ جبتا فوصفنى أولهما بانى رجل جد يدخر للمسائل العملية ، ونعتنى الآخر بانى من أساتذة المدرسة الحديثة — على حد تعبيره — فذلك فضلهما أرادا أن يسبغاه مشكورين

وفى الحق أن كل ما كتبته عنيت به أحد أمرين او الأمرين جميعاً : أولهما عدم وجود نظير فى اللغة العربية ، ثانيهما اظهار ماخفى على كثيرين من أدق المسائل التى كان لها فى تطورحياة مصر السياسية والاجتماعية والعلمية أثر بليغ . واذا راجعتم كتابى « حوليات مصر السياسية » أو رسالتى « قناة السويس » أو غيرهما تبين لكم وجه ما أقول

كما ان كل مطلع على الجزء الاول من « مذكراتى فى نصف قرن » — الذى ظهر اخيراً — يرى أننى كما قلت آنفاً رجل لايعنى الأببسط الحقائق لابسة ثوب الصراحة والصدق ، وان كان نشر مثل هذه المذكرات امراً غير معهود فى الشرق

على أنه اذا كان الابن البكر عادة أعز البنين عند الآباء ، وكانت ذكريات الشباب أبدع ما يهز النفس فان رسالتى « الرق فى الاسلام » — وهى أول نتاجى الفكرى — لها فى نفسى المحل الاول.

كتبت هذه الرسالة تحت تأثير فكرة نبيلة انقدحت فى نفسى حين ساقتنى الظروف فسمعت محاضرة فى الموضوع من الكردينال لافيجرى فكان من أثرها تصنيف هذا الكتيب

ولئن كنت قد حررته بالفرنسية فان صديقى العزيز المرحوم الاستاذ احمد زكى (باشا) تفضل فنقله الى العربية وكان ذلك فى عام ١٨٩٤ واليكم فقرات منه :

الاسترقاق عند قدماء المصريين

كان الرقيق فى مصر عبارة عن آلة للعمل وكان أيضاً من الاشياء المعدة لمشاهد الزينة ومظاهر

الابهة .فكان الارقاء بقصور الملوك وبيت الكهان ودار المقاتلين . ثم ان الفاقة جعلت لسائر الافراد سبيلا إلى امتلاك الارقاء ايضاً .وكان الاسارى على العموم ارقاء للدولة يقومون بالاعمال والاشغال التي تستلزمها حاجات القطر او التي تدعو اليها موجبات زخرفته وتحسين هيئته . وفيما عدا هذه التشديدات الخاصة بالاستخدام فى الصالح العام قد تحسنت حالة الرقيق وتلطفت كثيراً ، فكان يجوز رفع الامة إلى مقام الزوجة . ثم ان الاخلاق والعادات كانت تقضى بالشفقة على الرقيق والدفاع عنه . بل ان الشريعة كانت تجعل حوله سياجا يقيه من البغى والاذى فقد قضت على أن من قتل الرقيق يقتل به

الرق في الاسلام

قبل الخوض فى هذا الموضوع ينبغى لنا أن نأتى بالايجاز وبوجه العموم على ذكر الاسترقاق عند الامم المختلفة فنقول :

الرق هو حرمان الشخص من حريته الطبيعية وصيرورته ملكا للغير.قالوا ان الاسترقاق ظهر منذ كان الاجتماع الانسانى وهو قول فى غاية الاصابة والسداد ، فانه ظهر حقيقة عندما وقعت الاجتماعات البشرية الاولى أيام كان حجاب الجهالة مسدولا على عالم الفطرة . والذى أوجب حصول هذا الفعل هو أمر يسهل بسطه وايراده .وذلك انه لما كان العمل من أصعب الضرورات وأشقاها أخذ الانسان فى البحث عما يخلصه من عنائه ومكابدته فاذا بطلبته بين يديه عند الهيئة الاجتماعية ، فان القوى الزم الضعيف بالاشتغال ومن ذلك نشأ الاسترقاق

ثم جاءت الحروب وتولدت الاطماع فبثت الاسترقاق فى جميع أجزاء العالم وعند معظم الامم، وصار الناس لايقتلون العدو بل يبقون عليه ليعمل لهم .هذا واعلم ان طبيعة الاقليم ، وهى من أقوى العوامل فى انحاء الجمعيات البشرية ، كان لها تأثير عظيم فى زيادة الاسترقاق واتساع نطاقه ، حتى انه مالبث حتى بلغ عند الامم التى على البساطة والفطرة فى جميع بلاد المشرق مبلغاً عظيما ودرجة قاصية وانتشاراً زائدا ،فان ثمن الرقيق كان زهيداً وعمله مقيداً بالنظر إلى ما صارت اليه الصناعة والتجارة من التقدم والاهمية . ولقد كان الحال على خلاف هذا المنوال عند أمم الشمال فان تغذية الرقيق عندهم كانت تكلفهم نفقة عظيمة ولم يكن لعمله كبير جدوى ولافائدة . فلهذا كان الاسترقاق فى بلاد الشمال منذ العصور الخوالى أقل انتشاراً منه فى جهات الجنوب من المعمورة . وهذا يدلنا على أن الاسترقاق هو من الامور الاقتصادية التدبيرية المترتبة على العمل والاشتغال . ولنبحث الآن فى حالة الرقيق عند الامم المختلفة واحدة واحدة

فقيد الامة العربية (١)

للشاعر القروي

لحَيٍّ برغم القبر فليخسإِ الردى ... وقد سلم الغازي فلا يهنأ العدا
ولو كل موت يضمن الخلد سارعت ... اليه ملوك الارض مثنىً وموحدا
ولو كل حظ حظ غازي من العلى ... تفاءلَ بالدنيا مهلٌ فانشدا
بنيتَ له المُلكَ الذي هو أهله ... وأطرفت ما هارون بالامس أتلدا
فمكَّنت آساساً وزخرفت قبةً ... وذهَّبت آفاقاً وأطلعت فرقدا
ورمت في بغداد عرشاً مهدماً ... وخلفت في الاكباد عرشاً مؤبدا
وما أنت إلا السيف أعقب خنجرا ... بلوناه في الجُلَّى فكان المهندا
لدن أدَّب الجبار بالصيغة التي ... تداول أسماع النجوم لها صدى (٢)
وصب على رأس السفير صواعقاً ... نزلن على اكبادنا البرد والندى
رآه وقد ضلَّ الهدى فانتضى له ... يداً قدحت من عينه النور فاهتدى
يمينَ شريف تقعد الطود قائماً ... ولو شاءت اليسرى أقامته مقعدا
أذابت قلوبَ الخائنين وفوَّرت ... دماً في عروق الانجليز تجمدا
ليرْض عليك الله باسبط أحمد ... فانك قد أرضيت جدك أحمدا
شفيت بهذا الموقف الحر نفسه ... وزحزحت عن صدر المروبة جلمدا
وكم غضب أدنى من الحلم للتقى ... وأهدى الى المجد الرفيع من الهدى
وما شأن مَلكٍ سامه العبد ذلة ... وأبرق صعلوك عليه وأرعدا .!
وكم تاج ملكٍ صار نيراً لربه ! ... وكم صولجان عاد في العنق مقودا .!
أيزعم ذو القرنين أنك عبده ... ومثلك من يلقى السلاطين أعبدا
تعود منا أن نغض على القذى ... فعودته نسيان ما قد تعودا

---

(١) اخترناها له من قصيدة في ذكرى الملك فيصل

(٢) اشارة الى وقفته الجريئة مع السفير البريطاني في بغداد وقت حادثة الاشوريين

ليعلمْ عبيد التاج أنك سيد ... تزيد به التيجان مجداً وسؤددا
وأن قريشاً أعظم الخلق هيبة ... وأكرم أخلاقاً وأشرف محتدا
تخر منيبات الجبال مهابة ... لبيت على رمل الحجاز تشيدا
زكا أصله قبل النبي محمد ... فكيف وقد ازكى النبيَّ محمدا
بتمكينه عهد من الله خالد ... على الدهر ما كر الجديدان جددا
تشيب الثريا قيل إنذار شيبه ... ويوشك خدُّ الشمس أن يتجعدا
أفيصل إني مرسل فيك شُرَّدًا ... يثبن اليك اللانهاية غردا
أكلِّفها نَوْحا فتمضي شواديًا ... أوَابيَ أن ترثيك حيا مخلدا
كأن حروف الخط أعواد جنة ... على كل فرع بلبلٌ للعلى شدا
وقلَّدت منها كلَّ شطرٍ مهندا ... يظل على هام العداة مجردا
إذا قرَع الراوي به سمعَ خائنٍ ... تذوَّقَ طعمَ الموت شعراً امرَدَّدا
وحسب القوافي أنها فيك أُلهمت ... لأغدو بها رب البيان المسوَّدا
فقد يهب الحق الغرابَ فصاحة ... وقد يُخرس البُطْل الهزارَ المغردا
سبيلك لم تسلكه الا منورا ... وسهمك لم ترسله إلاَّ مسدَّدا
وكنت لاشتات البلاد موحدا ... كما كنت في الدين الحنيف موحدا
وكنت لاجل المجد بالمال زاهداً ... وكنت لاجل العرب بالمجد أزهدا
وكم خضت لاستقلال شعبك لجة ... وكم جبت آفاقاً وكم جزت فدفدا
بعيد المنى لم تلق مرساة مطمحٍ ... الى المجد إلا سامك المجد أبعدا
مشيت له تستبطىء البرق مركبا ... وأدركته تستوطىء النجم مقعدا
أرِحْ كبِدًا حمَّلتها كلَّ فادحٍ ... من الهم يعيي الشُّم لو كنَّ اكبدا
طعامٌ على مضٍ وشربٌ على قذًى ... ومشيٌ على جمرٍ ونومٌ على مُدى
تصبَّرتَ حتى الصبرُ كاليأس قاتل ... وحتى ذممنا في الخطوب التجلدا
صعدت جبال الالب تنشد راحة ... وعدت كان الالب في القلب صعدا
كلا كل هم لو انيخت (بيذبلٍ) ... لعاد (يزوفاً) يقذف الجمر والردى

حزن أب

قصة مصرية بقلم الاستاذ محمود تيمور

حدثني الراوى قائلا : ــ

كانت لنا ضيعة فى الشرقية كنت دائم التردد عليها لمراقبة أعمالها الزراعية . وكنت أعرف فيها رجلا يدعى الشيخ عساف صناعته نساج ، كثيراً ما زرته فى داره لاشاهده وقت العمل وهو يشتغل أمام نوله المتواضع البدائى . وكان يرحب بى ويقدم لى فى كل مرة أزوره فيها فنجاناً من قهوته الريفية . والرجل وسيم الطلعة وقور حلو الحديث . له لحية مقصوصة يختلط بياض شعرها بسواده ماتت زوجته منذ أعوام وخلفت له ابناً وحيداً ، هو كل عائلته . عكف على تربيته وتعليمه صناعة النسيج حتى برع فيها وأصبح ساعد أبيه الايمن . وكان شاباً جميل التكوين . قوى البنية ، تلمع عيناه ذكاء ونشاطاً . يحبه أبوه حباً عظيما ويكثر من التحدث عنه فى المجالس معدداً فضائله بفخر واعجاب !

وذهبت مرة الى الضيعة كعادتى فبوغت بخبر فظيع كان له اسوأ وقع فى قلبى . علمت بأن الابن مات قتيلا تحت عجلات القطار ! . . وقصدت من فورى الشيخ عساف فى داره لأعزيه فى نكبته فاكرم وفادتى وقدم لى كالمعتاد فنجانا من قهوته الريفية . ولكنه كان يعمل كالآلة الميكانيكية بلا روح . ولاحظت عليه شحوبا وامتقاعا فى اللون . وكنت أحس وهو يتكلم كانه ينزع الكلمات من لسانه فى جهد . وكانه يفتش عن الموضوعات فى حيرة ، ذلك الذى كان لا تعوزه طلاقة ولا بيان . وكانت تعتريه نوبات صمت ووجوم كان يستيقظ منها مذعوراً ويلتفت حوله فى دهشة كانه يقول : أين كنت وأين أنا الآن ؟ . ثم يتابع حديثه بمشقة . وقد عزيته بكلمة صغيرة اجتهدت أن أضمنها حقيقة شعورى نحوه . فاجابنى برد ساذج عادى ، ولكن بصوت خشن ونبرات مهتزة . وكان هذا الحديث القصير هو حديثنا عن الابن وعن ميتته . ولما انتهت زيارتى هززت يده طويلا فى صمت هزة العطف والاخلاص

ومرت الايام وتكررت زيارتى للضيعة . وكنت دائما اسأل عن الشيخ عساف فيخبرونى أنه قليل الخروج من منزله . فأذهب اليه بدافع خفى وأقضى معه بعض الوقت . وكان الرجل يتهدم يوما عن يوم . فازداد وجهه شحوبا وتجهما . وقل حديثه وأصبح جافا مقتضبا . وتقذرت لحيته وتشعثت فى شكل منفر . وبدأت ملابسه تتهلهل وتعلوها الاوساخ

ورأيت منسجه غارقا فى صمته ووحدته وانقباضه ، وقد اكتسى بالغبار والعنكبوت . وعلمت أن حالته المالية قد ساءت وأنه باع جاموسته وطيوره

أما منزله فصار خراباً ، لايتنفس عن الحياة ، يخيم عليه الاهمال والصمت . فهو أشبه بقبر متهدم قديم غير صالح حتى ولا للاموات

وكان الرجل يزورنى فى الدوار بعض الاحيان عملا بواجب المجاملة . وكان يقضى جل الوقت صامتا منكس الرأس يجتر همه على مهل مستعلما اياه . ولم يحدث أن فاه بكلمة واحدة عن ابنه

وجاء مرة . وبعد تناوله القهوة رفع رأسه وسألنى قائلا : ألا تستطيع أن تخبرنى ياسيدى اليه بما يحس به الشخص الذى يموت قتيلا تحت عجلات القطار وما مبلغ ألمه ؟

فبوغت وحاولت عبثا اخفاء ارتباكى . ولكنى قلت له : أظن انه لا يحس بشىء . انها ميتة سريعة !

فجهر بصوته وقال فى تأكيد : يقينى أنه يتألم أشد الآلام !

واحتقن وجهه وغارت تجاعيده أكثر من الاول واحمرت عيناه المربدتان ونفرت عروق رقبته واختل تنفسه . فاحترمت ألمه ولم أجب . وظل هكذا برهة فى ثورة صامتة . ثم هدأ تدريجياً وعاد إلى خموله الاول

ومرت الايام أيضاً وتكررت زيارتى للضيعة والشيخ عساف ينحدر من سيىء الى أسوأ حتى صار كالهيكل . وكان إذا سار قليلا ظهرت عليه بوادر الاعياء . وكان دائما مستغرقا فى صمته القلق وذهوله المضطرب ... حقاً لقد كانت حالته تدعو إلى التألم والرثاء . ولكن لم يكن فى استطاعة أحد أن يعمل شيئاً من أجله . ومكثت مرة فى الضيعة أسبوعا رأيت فى خلاله الشيخ عساف مرة واحدة . جاءنى عشية سفرى إلى القاهرة وكنت فى الحديقة بمفردى تاركا نفسى تسبح فى خمولها بعد يوم كله كد وتعب ، وكان السكون الفظيع يخيم على المكان

حيانى الشيخ وجلس أمامى وهو ينهج من تعب المسير . وبعد ان استراح قليلا بادرنى بقوله :

ـــ لقد قصدتك فى حاجة ... فهل أنت قاضيها لى ؟

فقلت وقد تحققت أن الرجل فى ضيق مالى : طلبك مجاب يا شيخ عساف ... كم تطلب ؟

فنظر إلى مستغرباً وقال : لا أطلب نقوداً يا سيدى

ـــ إذاً ماذا ؟ . . .

ـــ أتسمح لى بمرافقتك إلى « الزقازيق » غداً ؟

فنظرت اليه فى دهشة ولم أجب ، وابتسم ابتسامة خفيفة وقال :

ـــ أريد ان أرى الدنيا . . . أن أتنفس قليلا . . . أن اتفرج على خلق الله وعلى المدينة الكبيرة التى لم أرها إلا مرة فى صباى . . . هل فى طلبى هذا ما يثير العجب ؟

وكان يتكلم بلهجة متزنة رقيقة وقد بدأ وجهه يشرق إشراقه القديم . وأمسك يدى وجعل

يلاطفها فى الحاح وهو يقول : ألا تجيبنى إلى طلبى . . . ؟

فقلت له وأنا مازلت متحيراً : أجيبك اليه إذا كان هذا يسرك

فلمعت عيناه وقال : يسرنى جداً . . .

ومن ثم أخذ يسامرنى بشىء من طرائفه القديمة التى كدت أنساها لطول عهدى بها . وكان وهو يفعل ذلك كأنه يجلو الصدأ عن تحفة غالية مهملة ويعرضها من جديد لامعة تستهوى القلوب

ولم يطل مكوثه معى إذ حل عليه « الوخم » سريعاً فاعفيته من جلسته . وقام وهو يشكرنى ويكرر لى عزمه على مرافقتى الى الزقازيق

وفى صباح الغد أعدوا لنا العربة ذات البغلتين المهدمتين . واعتلى مقعد القيادة رجل فلاح بلبدة سمراء وجلباب « مزهر » وكان فى يمينه عصا طويلة لينة يستعملها كرباجا . وصعدت الى العربة أنا وناظر الزراعة وانتظرنا مجىء الشيخ عساف . ولما طال بنا الانتظار قال لى الناظر :

ـــ ان الرجل لن يأتى على ما أظن . واخشى ان يفوتنا القطار

فاجبته قائلا : وهذا رأيى ايضا . . . هلم يا اسطى

وما كادت العربة تتحرك حتى سمعنا صوتا متقطع الانفاس ينادينا . فالتفت فاذا بالشيخ عساف يجرى صوبنا ـــ حسبما تساعده قوته ـــ وهو يشير علينا بأن نتوقف . فامرت الحوذى بأن يقف . وجاء الشيخ عساف وصعد الى العربة وتهالك على المقعد فى حالة تشبه الاغماء وهو يتمتم قائلا :

ـــ كادت تفوتنى هذه الفرصة . . .

وسرنا وبدأ الشيخ يستعيد قوته . وبذل مافى وسعه ليسامرنا ولكنه اخفق . اذ كانت موضوعاته مشوشة مبتورة ولهجته مضطربة مختلة . وكان ينسى نفسه فيستغرق فى وجوم عجيب . وتصيبه الرعدة بعض الاحيان كأنه مقرور او محموم

واخيراً وصلنا ونزلنا من العربة واتجهنا صوب المحطة . ثم قصدنا « البوفيه » وطلبنا قهوة وسجائر . وقل كلام الشيخ حتى اصبح نادراً . وعكف على قهوته يحتسيها وعلى سجائره يدخنها . ولاحظت عليه شيئاً من امتقاع الوجه . وكانت شفتاه ترتعشان من وقت لآخر

واخرجت ساعتى وقلت : باقى خمس دقائق على وصول القطار

فرفع الشيخ عساف رأسه وقال وهو يستعد للقيام : هلم . . .

وقمنا إلى الرصيف . وبعد قليل سمعنا هدير القطار . ثم رأيناه يهجم على المحطة هجوم الغازى المنتصر . وبينما كنت مهتما مع الناظر والشيال باعداد الحقائب سمعت صياحا عاليا تبعته جلبة وهرج ثم شاهدت ازدحاما على جهة من الرصيف وطرق سمعى هذه الجملة : ـــ لقد تهشم وتقطع اربا

وهرعت صوب الزحام واستعطت ان ارى تحت عجلات القطار بقعا من الدم وبقايا ملابس ولحم آدمى مفروم . والتفت حولى افتقد الشيخ عساف فلم اعثر له على اثر . . . !

الخطيب والجمهور (١)

للدكتور نقولا فياض

ان بين الخطيب والجمهور صلة نسب وقرابة ولكنها ليست متينة الاسباب فى كل حين ، وهذا ما يجعل موقف الخطيب حرجا ، فان الجمهور مؤلف من طبقات مختلفة وفيه العالم والامي والقنوع اللين العريكة والعنيد الصلب الشكيمة . فاذا كان الخطيب ممن الفوا المنابر واعتادوا على تلك الوجوه الشاخصة اليهم والعيون المحدقة بهم فقد وجد السبيل ممهداً أمامه وكان فوزه أكيداً . وإذا كان على خلاف ذلك أو هو يخطب للمرة الاولى فقد عز مطلبه ووعرت طريقه وكان من الواجب قبل كل أمر أن يستميل الحضور اليه وأن يهيء نفسه لقبول ماقد يصدر عنهم من ضجة أوضحك أو مقاطعة أو غير ذلك ولا سيما إذا كان فى الحفل كثير من العامة كما يحدث فى الاجتماعات السياسية أيام الانتخابات ، وهذا أمر قليل الوقوع عندنا لعدم توافر الاسباب الداعية اليه

وربما ساء الخطيب قلة الاقبال عليه وعدم امتلاء النادى بالسامعين . فعليه أن يدافع هذا الاثر ويتغلب على غيظه ويلقى خطبته بكل ما أوتى من حماسة حتى اذا خرج الناس معجبين بما قال كان لخطابه صدى جميل فى المحافل والاندية لايلبث معه حتى يتغير اعتقاد الناس فيه فيأسف من قصر عن الحضور ويعاهد النفس ألا يدع فرصة تفوته فيما بعد لسماع هذا الخطيب

ومثل ذلك إذا كان السواد الاعظم من عامة الناس الذين لم تسمح لهم أعمال الحياة ومطالب الجهاد أن يتوسعوا فى الثقافة ، فلا يكونن هذا مثبطاً له لانه لا يشق عليه أن يستميلهم ويملك عليهم نفوسهم ولو لم يعوا كل ما يقول . فان السامع الأمى كالفقير الذى يعرف أنه لا يستطيع أن يلبس الخز والديباج ويروقه مع ذلك مرأى هذا الزهو وربما حصل عليه بالتصور . فهو أى السامع يدرك أن فى كلام الخطيب ما يسمو عن مداركه أحيانا ولكن يسره أن يسمع ويرى ، وقد ترضيه من الخطيب بعض الظواهر أو الحركات فتلقى ستاراً على جهله ويمحو من ذهنه أثر العجز الذى هو فيه فيخرج مسروراً مسحوراً لان حكم الجماعات يكون عادة حسب الاهواء والشهوات والتأثيرات النفسانية

وقد يقف خطيبان أو أكثر فى ناد فيأتى الواحد بأبلغ مايمكن ويلم بموضوعه من كل أطرافه ولا يترك شاردة إلا قيدها . ويقول الآخر كلاماً سطحياً لا يدل على تعمق فى الدرس ولا اجتهاد فى

---

(١) اخترناها له ..

البحث ولكنه يأتى ببعض النكات المستظرفة فينال من الاستحسان والتصفيق أضعاف ما نال الأول الا أن هذا الفوز عارض لايلبث حتى يزول عند ماتنقشع غيمة التأثير الخطابى وينشر قول هذا وذاك ويطلع القراء على فحواها ويسهل لكل فى خلوته أن يبدى حكما صحيحا بعيداً عن التأثيرات الخارجية

ولا يجوز للخطيب أن يحتقر العامة لان غايته فى الغالب هى التهذيب والارشاد والاصلاح ، ولا يصل اليها بالازدراء بسامعه بل هو بهذا الاحتقار يخولهم الحق ان يحتقروه . وأول مايجب عليه فى هذه الاحوال أن يتعرف الى اهوائهم ويجاريهم فى مشاربهم أحيانا فقد لاتكون بعيدة عن الصواب ، وأن يصغى الى كلامهم فالحكمة قد تاتى من فم الجاهل ، وأن يتبع المثل الاعلى الذى يريد ان يرسمه للناس فلا يأنف من عرضه عليهم ولا ييأس من تقريبهم منه

من العقبات التى تعترض الخطيب وهو على المنبر أن لا يفهمه كل انسان فتقوم المعارضة من كل ناحية لان هذا الجمهور المختلف الطبقات والامزجة والتربية والغاية يسرى فيه الف مذهب والف عقيدة والف وهم . وعلى الخطيب أن يؤلف بين هذه القوى المتباينة ليقودها فى طريقه ولايتم له ذلك إلا بالصبر والحلم وطول الاناة والتسامح . وهو يسعى الى ارضاء هذا الجمهور ولكن لا من طريق الاكراه الذى يفضى إلى الفشل . فاذا دافع عن رأيه فلا يكون دفاعه بمحاولة هدم مذهب سواه فان لكل رأى مظهراً من مظاهر الحقيقة ولم نسمع أبداً أن كل الناس خرجوا من حفلة خطابية راضين مقتنعين . وقد كان والدك روسو يقول عن نفسه : « أنا اطلب من كلامى نجاحاً لا انتصاراً » وهذا مايجب على كل خطيب أو مناظر أن يضعه نصب عينيه . وخطاب أنطونيوس فى مقتل قيصر أبلغ مثال يقدم على ذلك

وقد تكون المعارضة عن اخلاص أو سوء فهم أو حب بالظهور ، فاذا أدرك الخطيب ذلك عرف أن يعطى لكل مقام مقالا ولكل جواب حالا

أما المقاطعة فلا يجب أن تخرجه عن جادة الموضوع لانه لا يخطب لواحد بل لجماعة وليمض فى كلامه حتى النهاية إلا أذا كان حاد الذهن حاضر البديهة فيرد على من قاطعه بكلمة ثم يعود الى موضوعه. واذا لم يوفق الى سرعة الرد فليمر بالاعتراض مر الكرام ذلك خير من أن يقول قولا لامعنى له أو فيه شتيمة وسباب

لما اعتصب عمال السكة الحديدية فى فرنسا وعددهم يربو على ١٥٠ الفاً ، لجأ الوزير بريان الى اصدار أمر بالتعبئة العامة فكانت الواسطة الوحيدة للتغلب على الثورة والضرب على أيدى المعتصبين بدون أن تسفك قطرة دم . وكان ذلك فى أثناء عطلة البرلمان ، فلما حان انعقاد الجلسة الاولى للدورة الجديدة كانت الافكار فى غليان والخواطر فى هيجان والنواب تتحفز للوثوب معترضة على هذا العمل الاستبدادى فى الظاهر . وجاء بريان لتقديم الحساب فعلت الاصوات من كل جانب :

«ليسقط الدكتاتور . ليسقط الكابوراك» . فوقف فى مكانه جامداً الى أن أتيح له فرصة ليرفع صوته فصاح بهم : « دكتاتور ؟ مسكين أنا . مالكم أيها السادة إلا ان تقولوا كلمة أو تبدوا إشارة فاترك هذا المنبر بلا أسف وأعود إلى مكانى فى صفوفكم خادماً بسيطاً لهذا الوطن » كلمات وجيزة ولكنها قوية بمعناها ومطابقتها الحال فجاءت كالماء على الجمر فهمدت حدة الثائرين وخمدت ثورة الصائحين . وأمكن بريان أن ينطلق فى حديثه مبرراً عمله فاذا بالغضب يتحول رضى والجلبة تنقلب سكوتا والنفور يعود اطمئنانا . وبعد ان كان هدفا لسهام الناقدين نزل عن المنبر بين الهتاف والتصفيق ومصافحة المهنئين . ولكن ليس كل الخطباء مثل بريان ولم يؤت سرعة البداهة كل انسان . وكم من أصحاب العقول الراجحة من يفتقر اليها فقد كان جاك روسو يقول عن نفسه : « لم أستطع عمرى ان أؤتى جواباً موفقا الا ربع ساعة بعد الوقت الملائم »

والمقاطعة فى حادثة بريان وقعت قبل أن يتكلم ولا أدرى هل تكون أشد وقعاً لو جاءت فى عرض الخطاب فكانت كالصخر الذى يلقى فى مصب السيل فينحرف به حيناً عن قصد السبيل ! . على كل حال ليس على الخطيب من جناح إذا لم يحضره الرد فوراً ولا يلام إذا حاول الجواب فقال مالا معنى له ولا فائدة منه . مثلا قد يسمع الخطيب مقاطعاً يقول : هذا كذب! فيجيبه : أنت الكاذب لا أنا . مثل هذا الجواب أفضل السكوت عليه الف مرة

ومن أجل ما يذكر من المقاطعة عن خطباء العرب ما حكاه صاحب العقد الفريد عن زياد عن مالك بن أنس قال : « خطب أبو جعفر المنصور فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس اتقوا الله . فقام اليه رجل من عرض الناس فقال : أذكرك الذى ذكرتنا به . فاجابه أبو جعفر بلا فكر ولا روية : سمعاً سمعاً لمن ذكر بالله . وأعوذ بالله أن اذكرك به وأنساه . فتأخذنى العزة بالاثم . لقد ضللت اذاً وما أنا من المهتدين . وأما أنت فوالله ما الله أردت بهذا ولكن ليقال قام فقال فعوقب فصبر . وأهون بها لو كانت . وأنا أنذركم أيها الناس أختها فان الموعظة علينا نزلت وفينا انبثت » ثم رجع إلى مكانه فى الخطابة

إن السكوت والتوقف عن الكلام حينا خير من الجواب على المقاطعة اذا لم تات بمثل هذه البلاغة ، ولا سيما اذا كان المقصود منها الاضرار بالخطيب والتشفى . وهذا السكوت الدال على عدم الاكتراث بالمقاطع يعد مقدرة وترفعا محموداً . وأما اذا كانت المقاطعة للاستفادة والتعمق فى البحث فقد يستطيع الخطيب مواصلة حديثه اكتسابا للوقت مع التفكير فى الرد فى آن واحد الى أن يحضره الجواب اللائق الموافق وهذا من وراء الغاية

ويحسن بالخطيب حينما يخلو الى نفسه أن يعيد فى ذهنه ما جرى فى الحفلة وليتذكر موقف الجمهور والمقاطعين وينظر فيما اذا كان قد أحسن التصرف ازاء هؤلاء وأولئك . ففى هذا التفكير درس وعبرة

الامبراطورية العربية (١)

وهل آن أن تتحقق

بقلم الاستاذ عبد الرحمن عزام

تكاد تكون حلما وقد كانت حقيقة ، ويكاد ينكرها أهلها ، وكانوا لايتصورون الحياة بغيرها ! أرأيت إذن كيف تذل النفوس وتتراخى الهمم ؟

كنت أتحدث مع أحد محررى « الهلال » عن الوحدة العربية والدولة المنتظرة كنتيجة لهذه الوحدة ، وكلما أفضت فى الحديث نظر الى كمن يستمع الى حلم لذيذ ، ثم سألنى أن أظهر على الناس بهذه الفكرة فلعلى واجد من يؤمن بها

وماهى بدعوة جديدة ولا فيها غريب ، بل هى الأصل . واستسلام العرب فى المشرق والمغرب للعيش بغير دولة هو الغريب !

فهأنذا أسائل العرب فى آسيا وافريقا ، بل اسائل المرتابين فى مستقبل هذه الامة العظيمة أن يذكروا ماضيهم

ليذكروا امبراطورية الامويين والعباسيين والفاطميين والموحدين والمرابطين والحفصيين . ليذكروا مئات السنين التى كانت فيها امبراطورية العرب زاهية عزيزة

ليذكروا ذلك فيؤمنوا ببعثها ، فما مات العرب وانما غشيهم النعاس . وقد تضاعف عديدهم واتسعت أوطانهم

ليذكر المرتابون دولة الخلفاء الراشدين ، وقد بسطت فى عشر سنين سلطانها على ملك كسرى وقيصر

وقد كان ملك كسرى وقيصر أعرق حضارة وأكثر علما وأعظم ثراء . ولو أن رجلا ساح فى ذلك العهد ببلاد الفرس والرومان ورأى قلب الجزيرة ثم بعث اليوم ليطوف العالم ، لشهد بأن الامة العربية الحالية فى مكان مهيأ لاقامة الامبراطورية أكثر مما كان عليه أسلافها وقت أن غيروا وجه البسيطة

---

(١) اخترناها له . . .

فاذا تحدثنا عن قيام هذه الامبراطورية اليوم ، فانما نستند الى حقائق تاريخية وواقعية والى قوى طبيعية ظاهرة وكمينة فى سبعين مليونا من البشر

أرأيت لو أن رجلا فى القرن السابع الهجرى رأى عمر بن الخطاب قبل عشر سنين من توليه الخلافة وأوحى اليه أن عمر سيكون بعد عشر سنين وارث كسرى وقيصر ، أكان يرتاب فيما أوحى اليه أم كان يؤمن به ؟ ومع ذلك فقد رأى الناس عمر بدوياً ضالا ورأوه سيد العالم . فما بال المرتابين من العرب ينكرون اليوم أن نقول إن سبعين مليوناً تربطهم عقيدة دينية ولغة موحدة وعرف مشترك يصلحون لاقامة امبراطورية

فى أوائل القرن الماضى كان بين مرتزقة الجند فى القاهرة رجل يعيش فى عش الفوضى والاضطراب بين قوم عمهم الجهل وسادت فيهم الخرافات . ذلك الرجل لم يمت حتى أقام امبراطورية عربية

فلو أن سائحا تعرف الى محمد على بين طائفة « الباش بوزوق » من الارنطة وقيل له ان هذا الجندى سيملك مصر والسودان والشام والحجاز ونجداً أكان يسخر من ذلك القول ، أم كان يؤمن به ؟ ومع ذلك فقد رأى الناس محمد على على رأس الامبراطورية العربية

وفى أواخر القرن الماضى ظهر رجل فى جزيرة « أبا » فى النيل الابيض كان يحترف فى دنقلة وغير دنقلة تعليم القرآن للصبية ويطوف البلاد لا يؤبه له . ولم يمت هذا الرجل حتى هزم الدولة المصرية والدولة البريطانية جميعاً . وما كان أحد ليدرى مصير الدولة التى أقامها لو امتد به الاجل ، ذلك هو محمد احمد المهدى . وقد قام على أعقابه رجل من البقارة رؤى فى كردفان يسوق حماراً هو كل ما يملك ويصحب زوجته وولده . ورؤى هذا الرجل بعد عشر سنين ملكا عظيما كان بعض ضحاياه امبراطور الحبشة نفسها ، ذلك هو عبد الله التعايشى

وفى أوائل هذا القرن كان عبد العزيز بن سعود ضيفاً لاجئاً مع أبيه عند أمير الكويت . وهو اليوم يستطيع أن يجيء ثلثمائة الف مقاتل لايعرفون لغيره امراً

والعرب اليوم ملأوا الارض يعمرون المنطقة المعتدلة فى غربى آسيا وشمالى أفريقا وهم من أشد الاقوام بأساً . كلهم فى أمصارهم من أقربهم الى مناهل العلم والحضارة

فاذا قيل انهم على أبواب الخروج للعالم بالدولة التى تليق بعظمتهم التاريخية والحالية ظن المرتابون أننا نسبح فى حلم لذيذ

ليس بين العرب وبين بعثهم مرة أخرى إلا أن يؤمنوا بأنفسهم وأن يؤمنوا بوجودهم . فقد افتتنوا بعظمة غيرهم حتى نسوا ذلك الوجود

وليس بين العرب وبين الامبراطورية التى تمثل عظمتهم إلا أن يكونوا كاليابانيين والصينيين والروس والترك والافغان والفرس مؤمنين بأنهم أمة لهاحق تقرير مصيرها

وقد اخترت هذه الامم للمثل لان العرب فى مجموعهم ليسوا أقل منها نضجاً ولاحضارة

ففى اليابان وروسيا عشرات الملايين من البشر الذين لا يمتازون عن البقارة فى جنوبى كردفان أو العجمان فى شرقى نجد . ولا يدرون من الحياة إلا أن يكدوا كما تكد النمل للعيش على غذاء من الارز أو البر . وانما هي العزة القومية والمثل الاعلى والقدوة الحسنة هي التى جعلت من هاتين الامبراطوريتين أكبر دول العالم

والامة العربية موجودة بصفات محدودة وهيئة مستقرة فهى ليست فى دور التكوين . بل هى مخلوق حى كامل الخلقة وما الامبراطورية التى نتحدث عنها إلا مظهر لكائن حى ما يزال فى محنة الشك فى نفسه والريب من قدره

لقد أتيح لى ان اخالط الشعوب العربية فى افريقا وآسيا . وبالرغم من الحدود المصطنعة التى تفصل هذه الشعوب ومن الاستعمار الاوربى الذى يعمل على حل عرى الوحدة فيها . بل بالرغم من انحدار دمائها من الاصول السامية والحامية . فان الامة العربية الحديثة هى وحدة اجتماعية وثقافية وليدة تاريخ مشترك لها خواصها الظاهرة والخفية التى تميزها عن غيرها من الشعوب والامم

وهي بحالتها الراهنة ـ التى هى نتيجة لفعل الاربعة عشر قرنا الماضية ـ جديرة بأن تحتل مكانها بين أمم العالم العظيمة الموحدة

ففى برقة أو نجد أو بحر العرب أو على الفترات . وفى لبنان أو فى الاطلس . أمة ذات مزاج مشترك لها عقيدتها ولسانها وعرفها تجمعها الكليات وان اختلفت الجزئيات

داؤها فى العراق والشام ومصر والسودان والمغرب هو الفتنة ، فقد فتنوا جميعاً بعظمة الغير ، ونسوا أنفسهم . ودواؤها الدعوة الى الايمان بالذات والمثل يضربه أفذاذ الرجال ليبثوا به الايمان

قد يقول بعض الناس : اننا لانتكر أن الناطقين بالضاد أمة واحدة ، ولكن أنى لهذه الشعوب المنتشرة فى آسيا وافريقا أن تتعاون فى امبراطورية واحدة ؟

فان كان هذا هو كل مايجعل الدعوة مستحيلة فليذكر المعترضون ان للانجليز فى افريقا وحدها ملكا هو أوسع من أرض الامة العربية . وفى الهند من البشر خمسة اضعاف عدد العرب يحكمهم وال واحد . وفى الامبراطورية الروسية سيبريا وحدها أوسع رقعة

ولو ذكر العرب دول آبائهم فى الامبراطورية الاموية أو العباسية أو الفاطمية وذكروا مواصلات ذلك العهد لعلموا كيف سمت الثقة بآبائهم وقصر اليأس بهم

والآن وقد قربت الى الاذهان فكرة الوحدة ، هل لى ان اشير الى بعض الضرورات التى تقضى على المفكرين أن يتخذوها شعارهم اذ لامستقبل للشعوب العربية بغيرها ؟

نحن فى القرن العشرين فى عصر التناطح بين كتل بشرية ضخمة ، والتنافس بين قوى مجتمعة تستند الى موارد متعددة من الثروات الطبيعية ، فلا سبيل لمجاراتها والعيش معها على قدم المساواة ولا

سبيل لأن يكون لأمتنا صوت مسموع فى الدنيا إلا اذا كانت لنا جبهة متراصة تمد وراءها عشرات الملايين وتستمد لها العيش والرخاء من ثروات منوعة فى الزراعة والصناعة

فمن المستحيل على الشعوب القليلة العدد المستندة فى عيشها الى غلة واحدة أن تتقدم الى الصدر فى محضر الامم الكبيرة . بل لابد أن تعيش ذيلا وعالة على غيرها

نحن فى عصر « الكارتل والترصت » وقد مضى زمن الدكان الصغير . فهل يظن العراقيون أو الشاميون أو المصريون أنهم يستطيعون الوصول الى حياة محترمة بغير الوحدة ؟ وليذكر قادة الرأى وأهل البصر ألا وجود للدولة قبل النهضة ولا بقاء لها بغير الامن والسلامة ، ولا أمن فى العصر الحاضر لغير القوى الكثيفة . وهنا يحسن بى أن ألفت مواطنى المصريين الى قول نشر للاستاذ ويجال العالم الاثرى الذى مات أخيراً . فقد قال وأثبت بشواهد كثيرة أن مصر كانت على الدوام امبراطورية إلا حين كانت تستولى عليها أمة أجنبية ، وانها اذا شاءت أن تستقل فى هذه الايام وجب عليها أن تنظر الى تاريخها القديم وتعتبر به لأنها بين أمرين لامفر منهما : إما امبراطورية تستولى على طرابلس والسودان وفلسطين وسوريا واما أمة مغلوبة يحكمها غيرها وتستبد بها دولة أجنبية . وذلك لان مركزها الجغرافى — وهى محوطة بالصحارى المفتوحة من كل ناحية — يجبرها على أن تؤمن حدودها بعبور هذه الصحارى والتغلب على الشعوب القاطنة بعد حدودها . وكلما تراخت قبضتها على هـذه الامم وانحسرت امبراطوريتها وقعت فريسة للفاتحين . وقد ضرب ويجال مثلا بالاسرة الثانية عشرة والثامنة عشرة والتاسعة عشرة والبطالسة والفاطميين والايوبيين ومحمد على . وهو حق لامراء فيه . وكم كنت أشعر به وقت أن قاتلنا الانجليز على حدود مصر الغربية سنة ١٩١٦

وقد من الله على مصر الحديثة بأن بسط حدودها شرقا وغربا ، فجعلها قلبا فى جسم أمة عظيمة تمتد من الخليج الفارسى الى المحيط الاطلسى . فهى فى وسط إخوة فى العقيدة والدم واللغة فيجب عليها أن تستفيد مما أحدثته العصور الاسلامية وأن تكون فى طليعة الدعاة الى الوحدة . فليس لها سلامة بغيرها كما أنه لا حياة لبقية الشعوب العربية بدونها

والنتيجة ان الدعوة الى الامبراطورية العربية ليست حلما يلده الخيال الواسع ، بل هى تستند الى حقيقة تاريخية والى ضرورة حالة . فالحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية للشعوب العربية تستلزمها . وهى الضمان الوحيد للاستقلال والحرية والسلم الداخلى والخارجى لهذه الشعوب

وأخيراً أرجو ألا يسىء أحد فهم هذه الدعوة فلست أقصد بكلمة الامبراطورية العربية غير الوحدة على أى مظهر تحققت . وليس الغرض تغلب قبيلة على قبائل أو امير على امراء أو استئثار اقليم ببقية الاقاليم وليست تصوراً لنظام دون آخر ولا هيئة من الهيئات التى تكون عليها الدولة دون أخرى . وانما أول القصد وغايته التعاون بين الشعوب العربية لتكون جبهة واحدة تسير على ضوء المثل الاعلى الذى يخرجه مزاجها المشترك الى الغاية السامية التى هي جديرة بالامة الحرة الكريمة

السعادة وأركانها الاربعة[1]

بقلم الاستاذ أديب السبحاني

قلما تجد فى حياة المرء نعيما لا يحول، أو بؤساً لا يزول . فقد تجيء قسمة بعض الناس مناصفة من الاثنين . وهم مع ذلك يتذمرون . وقد يجيء النعيم راجحاً فى كفة آخرين . وهم مع ذلك غير راضين . أما القسم الأكبر من اخواننا فى الانسانية فهم الذين يحق لهم التذمر ، لو كان التذمر يفيد ، لان نصيبهم من البؤس اكبر

كيف التوصل اذاً الى عكس هذه الحال ؟ كيف السبيل الى ترجيح النعيم فى قسمة الناس أجمعين ؟ إن الحالين ولا ريب يتعاقبان فى حياة كل انسان

وليس النسيان طوع الارادة . فالمرء ينسى أيام بؤسه ما لقى من نعمة وهناء (حتى أيوب الصديق نسى ذلك) وقلما ينسى الانسان حين سعادته أنه كان من المظلومين البائسين . أى أنه ينكر فضل الزمان عند ما يقلب الزمان له ظهر المجن . قد ملأ أيوب الارض صراخاً وتذمراً لانه بعد نعمة سابقة ابتلى فى ماله وجسده . ولو ذكر الاولى لهانت عليه الثانية

ولكن الحكيم والجاهل فى هذا سواء . لذلك نطلب للاثنين حماية العلم والشرائع والدين . لان بها يعم النعيم ويخف البؤس بقدر الامكان فى حياة الانسان

أجل . إن الواجب الأول على الدين والعلم والشرائع هو أن تساعد فى تحقيق أمل المصلحين الاعلى . وهو أن يكون الخير الاكبر نصيب العدد الاكبر من الناس . ولا ريب اننا سائرون فى هذا السبيل . لا ريب عندى أن عدد الذين يتقاسمون اليوم النعيم والبؤس هم اكثر جداً من عدد أمثالهم فى أيام توت عنخ آمون . وسيزداد هذا العدد . وسيرجح فى القسمة الهناء كلما تقدمنا فى العلم وفى الاصلاحات الاجتماعية . . أما أسباب هذا التقدم فمن اهمها اصلاح الانسان نفسه . وأهم ما فى هذا الاصلاح هو أن يعلم الحقيقة الكبرى ويعمل بها . وهذه الحقيقة هى أن هناء العيش لا يقوم بغير أربعة اوجه هى : صحة الجسد . وصحة العقل . وصحة الروح . ثم اليسر أو الاستغناء . قد تتعدد الطرق الى ذلك . وقد يختلف فى بعضها الحكماء . ولكنى اقدم للقارىء ما هو عندى فى أعلى منزلة اليقين . وجله ثمرة الخبرة والامتحان

---

(١) اخترناها له . . .

كيف تحفظ أو كيف تستعيد الصحة والعافية :

١ — لا تعود نفسك الأدوية والمقويات

٢ — لا تلجأ فى تخفيف الم او إزالة هم الى المنبهات والمخدرات

٣ — لا تتعود الهوادة فيما تعتقده لازماً لصحتك

٤ — لا تسترسل فى الملذات . ولا تطلق العنان للشهوات

٥ — نم مبكراً وقم مبكراً

٦ — عود نفسك التنفس تنفساً علمياً بضع دقائق كل يوم . قف امام النافذة أو فى الهواء الطلق واملأ رئتيك من منخريك وافرغهما من فمك

٧ — كل ما تشتهى نفسك . ولا تأكل لتشبع . لتكن القاعدة انك عند ما تنهض من المائدة لا تشعر بأن لك معدة . واذا انحرف مزاجك اذكر كلمة النبي محمد واعمل بها : « المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء »

٨ — صم اسبوعاً او اسبوعين فى اول الربيع

٩ — عود نفسك الرياضة فى العراء كأن تتعلم السباحة مثلا او الصيد او ركوب الخيل او « التانيس » . واذا كان عملك او حالك لا يسمح بذلك فمارس قبل النوم وعند ما تنهض فى الصباح بعض الحركات ترويضاً للجسد

١٠ — اغتسل بالماء البارد صباح كل يوم . واذكر وانت تتنشف ان جسدك هيكل مفدى لله فاحفظه سليما طاهرا نقيا

١١ — امش الى عملك أو امش نصف ساعة على الأقل كل يوم تستنشق هواء الصباح فترقص الحياة فى دمك ، وينور الورد فى خديك . امش وأنت مدرك أنك جزء صحيح سليم من الكون . امش وفى خطواتك وفى قلبك خفة الطيور وطرب الطيور

رأيت ذات يوم شابين يتصارعان ، فقال المشاهدون للمغلوب : لا يمكنك أن تغلبه وهو يتمرن ، ويمشى ، ويغطس فى الماء البارد كل يوم

وهناك فى حفظ الصحة وصية أخرى ، هى الوصية الاخيرة . قد أشرت فيما تقدم الى التذمر ولم أذكر الحسد شقيقه الاول . فالتذمر اذا كنت مريضاً يزيد فى مرضك ، واذا كنت فقيرا لا يغنيك . وقد يزيد فقرك لانه يبعد عنك الاصحاب . وفيهم من يستطيع مساعدتك . وإذا كنت فى محنة فالتذمر لا يزيلها ولا يخففها . أما الحسد فقد يذهب بكل جمال بشرى ـ بجمال الروح وجمال العقل وجمال الوجه أيضا . إياك إذن والتذمر وإياك والحسد

هذه الوصايا الصحية تغنيك اذا واظبت عليها عن الطبيب ، وهى الركن الأول للسعادة

أما صحة العقل وما يجىء معها من القوة واصالة الرأى والحكمة فقوامها المطالعة والتفكير :

١ ـ طالع ولو ساعة كل يوم ما يلذ ويفيد من الكتب والمجلات

٢ ـ تجنب الروايات المهيجة للاعصاب والمثيرة للشهوات

٣ ـ لا تنظر الى الحياة ومشاكلها من وجهتك الخاصة فقط ، بل انظر اليها من وجهة جارك ووجهة خصمك أيضا . واذكر ان لكل مسألة وجهين على الاقل

٤ ـ كن منصفاً فى أحكامك ، مخلصاً فى آرائك ، صادقاً فى أقوالك ، عادلا حتى فى نفسك

٥ ـ لا تدع الصغائر تزعجك ، فتضعف بتكرارها المناعة النفسية ، فلا تقوى إذ ذاك على مقاومة الكبائر المفجعة

٦ ـ ادخر من قواك العقلية والروحية لايام المحن والكروب

٧ ـ اخل بنفسك ساعة أو نصف ساعة كل يوم ، فتستريح عقليا وجسديا . واذا كنت مضطرب البال أو مكتئبا أو غاضبا فهذه الساعات تعيد اليك السكينة والرضى

٨ ـ واذكر ان فى مضمار الحياة تتبارى العقول على الدوام ، وان الفوز للعقل القوى المرن المجرب السريع فى التفكير الدقيق فى التحليل

أما الصحة الروحية فركنها الاول الايمان بالله ، ولكن هذا الايمان لا ينفع إلا إذا تمثل فى حالك ، وفيما يربطك بالحياة وبالكون ، أى فى الشوق الذى يتمثل فى الحب ، وفى الحب الذى يربطك بالحياة ، وبالامل الذى يربطك بالكون

عندما تخلو بنفسك اذن ، اجلس مستسلما مسترخيا عقلا وجسداً ، ثم اغمض عينيك ولا تفكر فى شىء ، وبعد الاستراحة ، وأنت فى فيض من الاثير الطيب ، ابدأ بتأملاتك الروحية

تأمل نفسك جزءاً من الكون الذى كله نور وصحة وقوة ، وقل : اللهم زدنى قوة وصحة ونورا . ثم تأمل نفسك جزءاً من المجتمع الانسانى الذى ينبغى ان يكون كالجزء الاول ، صحيحا سليما وقل : سأبدأ اللهم بنفسى فتصلح نفس جارى ، ثم تأمل نفسك جزءاً من اسرة تقاسمها تبعة الحياة ، او تدير شؤونها ، وقل : عونك اللهم فى كل مافيه حب وتساهل وحكمة واعتدال

ولا يفوتنك ان الطمأنينة والسكينة هما من اركان الصحة الروحية ، فكن هادىء البال صلب العود فى الملمات ، كن ثابت الجأش فى الخطوب ، واذكر دائما ان ليس هناك خطب بشرى تتناهى عنده الآلام والاحزان

بقى الفقر او الانكال المادى فهو وان سلم الجسم والعقل والروح ، سم السعادة . وما الترياق لهذا السم غير العمل الذى ينبغى ان يكون مقرونا دائما بكرامة النفس ، والثقة بالنفس ، والاتكال على النفس . واذا فشلت فى مساعيك اولا وثانيا وثالثا ، فاذكر ان لا شىء يدوم غير دولاب الحظ الذى يدور على الدوام . على انى لا انصحك ان تتكل عليه فى غير امل مقرون بعمل . واذا افلح سعيك فلا اوصيك بالقناعة لانى اعلم ان القناعة سجن الآمال . اجل . ان المرء لا يجد قسما من سعادته فى العمل الدائم ، كما انه يجد السعادة الكبرى فى النجاح المستمر

ملكة تدمر

من قصيدة للاستاذ سبلى سمط

سمراء نافرة نفور الجؤذر ... تنمي لآل « سميدع » في تدمر
جمعت الى الحسن البيان فمنطق ... يسبي وصورة يوسف لمصور
الجاذبية فى معانيها وان ... نظرت لمست الكهربا في المحجر
نشرت لواء الحسن واختالت على ... أترابها منه بأروع مظهر
ومشت كرائم تدمر في عرسها ... ينشقن ما في ثوبها من عنبر
ويمسن من لون السماء بأزرق ... ويتهن من لون الشقيق بأحمر
متمتعات بالنضيد الجوهرى ... في ثغرها والبابلى المسكر
متنعمات بالحديث الكوثرى ... كالنحل حام على غدير السكر
والقين يحملن الصنوج عوازفاً ... بالناى يوم زفافها والمزهر
وبنات تدمر شاخصات نحوها ... متأملات حسن ذاك المنظر
متغنيات بالنشيد التدمرى ... متخشعات حول بنت المشترى
كالهة زلفت لها كهانها ... بمباخر حشيت بمسك اذفر
صادت اذينة زينب فاعجب بها ... من ظبية صادت فؤاد غضنفر
وأذينة المشهور في غاراته ... طرح السلام امام طرف احور
والحب يعثر بالعروش فتنحنى ... ويبيع تيجان الملوك ويشتري
حرب القرون فليس من متقدم ... كف الوغى عنه ولا متأخر
ومن المفاخر ان زينب أوتيت ... فوق الجمال الفذ سطوة عنتر
ما غامرت في حلبة الا شأت ... شأو المجلى في متون الضمر

وتمرست بالصيد ليس يهولها زأر السباع ولا ضغاء الأنمر
لا تترك النمر الوثوب معفراً الا لتتبعه بليث مخدر
حينا تعاجله بضربة أبتر حينا تعاجله بطعنة خنجر
واذا الطريدة ادْبرت عمدت الى سهم تدق به قذال المدبر
عَدَّاءة ان تَغْدُ ليس يفوتها في السهل او في الحزن خف الاعفر
يغلي الدم العربي في اوداجها غليان صدر المرجل المتفجر
اخذت بزند اذينة في حكمه حتى ابتنى في الشرق عرش التدمرى
جمع القبائل حوله وأمدها بمرقرق من راحتيه وممطر
واعزها بذخائر وصوارم وعواسل وصواهل وسنور
ومشى الى استقلال تدمر ثائراً للروم من سابور قاهر قيصر
وغزا المدائن « بالعتاق شوازباً قب الاياطل داميات الانسر »
القائد الجيش اللهام كأنه « تحت السوابغ تبع فى حمير »
طرب بحمحمة الجياد الضمر ثُمل بصلصلة السيوف البتر
الضارب الايوان في سابوره بالمنجنيق وكل اشوس اغبر
فتهيبت روما مكانة تدمر واميرها المستأسد المتنمر
واقر غليانوس معترفا له بالتاج تاج الشرق غير مخير

***

بالسيف نال اذينة استقلاله والعز مطلبه بحد الابتر
لا يبلغ الشعراء والخطباء ما بالسيف يدرك والسنان الاخزر
من ليس يؤلمه الهوان فأذنه صماء عن رنانة في منبر

القوة والعلم : هما دعامتا الحياة

بقلم الاستاذ عبد الرحمن الرافعي بك

لا أستطيع أن أعرف أحسن ما كتبت ، فقد أرى حسنا ماليس بالحسن ، وقد أخطىء فى تقدير ما أكتب ، وقد يرى القارىء ما لا يراه الكاتب . فالطلب فى ذاته فيه شيء من الاحراج . . . على انى مع ذلك اختار هنا بعض ما اذكر انى تأثرت له تأثراً خاصا حين كتبته أو قلته ، وهذا بحسب شعورى من أحسن ما كتبت . فما قلته فى مقدمة كتابى (حقوق الشعب) سنة ١٩١٢ :

« لست فى هذا الكتاب مدعيا وضع مبادىء جديدة أضيفها إلى المبادىء الخالدة التى تتبعها كل أمة تجاهد فى سبيل حريتها واستقلالها . تلك المبادىء التى لم تتغير منذ العصور الاولى إلى هذه الايام الى ماشاء الله ، لان طبائع العلاقات بين الناس أفراداً وجماعات هى هى واحدة لاتغيرفيها ولا تبديل

فالناس منذ خلق الله العالم لم يحتفظوا على حقوقهم ولن يحتفظوا عليها الا بمقدار مالديهم من شدة وبأس وقوة . وكذلك الأمم تتصارع وتتنازع فى معترك الحياة العامة ، ولا يسود فى تنازعها الابدى مبدأ أيدته الحوادث قديما وحديثا مثلما يسود بينها مبدأ القوة . فكم ديست للامم حقوق لأن القوة تنقصها . وكم انتهكت لها حرمات لضعفها وقلة حولها . ولكم خدعت الامم نفسها وأرادت أن تعيش ضعيفة بين أمم قوية فما راعت تلك الامم فى معاملتها عهداً ولا أنجزت وعداً ولا احترمت لها حقا ولا سمعت منها قولا ، بل كان نصيبها أن توطأ حريتها وحقوقها تحت الاقدام !

ما أظلم الانسان فرداً وما أظلم الناس جماعات ودولا ! فكما انه لا يمنع ظلم الانسان عن أخيه الانسان الا القوة وأعنى بها قوة الحكومة التى تضمن لكل فرد حقه ، كذلك لا تأمن الامم بعضها ظلم بعض الا بالقوة ولا تحفظ كل أمة وجودها الا بفضل مالديها من القوة

هكذا العالم وتلك سنة الله فيه . . . . . فما أتعس حظ تلك الامم التى جهلت ذلك المبدأ ونبذته لا تجد من ينصفها ممن يظلمها حتى من أبنائها الذين هم أقرب الناس اليها . يعيشون عبيداً للقوة وخداما لها وهى تطالب بحقوقها فلا تجد من يجيب طلبها أو يصغى لندائها لان القوة تنقصها

ما أتعس حظ تلك الامم ثم ما اجهلها وما أضيع اوقاتها وابعدها عن حريتها ! عبثا تتعلم . عبثا تتحضر وتتهذب ، عبثا ترتقى فى الفنون وتنبغ فى الصنائع ، عبثا تجارى الامم الراقية فى مظاهر المدنية ، عبثاً تفعل كل ذلك ما دامت لا تحيط حياتها وعلومها وفنونها بسياج من القوة

فهل تغيرت تلك الحقائق منذ خلق الله الانسان ومنذ عاش جماعات فى ظل الحكومات ؟ كلا

وريك فهى باقية خالدة تتعلق بها الحوادث فى بطون الأيام وتنادى بصحتها كل يوم تقلبات الزمان .

فقديما حييت الأمم بالقوة . وماتت لحرمانها من القوة . وتغلب بعضها على بعض بالقوة

القوة والعلم : هذان العاملان هما الدعامتان اللتان تضمنان للامم حياتها وحقوقها

جئت فى هذا الكتاب أخاطب فئتين من الأمة كانوا دائما جنود الحرية فى كل بلاد : وهما رجال الغد . وجمهور الشعب . جئت اخاطب اخوانى الشبان رجال الغد الذين أعد نفسى واحدا منهم وأعتقد ان عليهم واجبا كبيراً هم مدينون به نحو الله ونحو الأمة ، وهو واجب العمل لتحرير بلادنا

☆ ☆ ☆

وألقيت خطبة فى مجلس النواب (بجلسة ١٧ مايو سنة ١٩٢٤) دافعت فيها عن حق المجلس فى اصدار قرارات برغبات تكون الزامية للحكومة . وهو موضوع ثار حوله جدل كبير فى البرلمان . ومما قلته فى هذه الخطبة :

فحق تقرير الرغبة معترف به للجمعية التشريعية . فاذا ما قال مكتب المجلس انه معترف بهذا الحق أيضا لمجلس النواب فاننا لم نتقدم خطوة واحدة الى الامام لان الرغبات التى كانت تقدم من الجمعية التشريعية كانت ذات صفة استشارية فقط. وغير معقول ان تكون سلطتنا الآن مساوية لسلطة الجمعية التشريعية ، لان هذه الجمعية لم تكن تملك السلطة القومية : سلطة الامة. اما فيما يختص بمجلس النواب فقد نص فى الدستور صراحة فى المادة (٢٣) ان جميع السلطات مصدرها الامة . وسلطة الامة ممثلة في مجلس النواب فيكون لهذا المجلس حق تقرير الرغبات التى يراها متفقة مع الصالح العام ، وتكون ملزمة للهيئة التنفيذية. وهذا الحق وهذا الالتزام وان لم ينص عليهما صراحة فى الدستور الا انهما يتفرعان عن الرقابة البرلمانية او عن المسئولية الوزارية المقررة فى الدستور

لاتميل المجالس النيابية الى تضييق سلطتها بل بالعكس ان تاريخ هذه المجالس يدلنا على أنها تميل على الدوام الى توسيع سلطتها . فلا يجمل بنا اذن ان نفرط فى حق تخوله لنا طبيعة الدستور . ان هذا الحق مظهر من مظاهر السلطة القومية فليس لنا ان نفرط فيه. فى هذا المجلس تتمثل سلطة الامة ومن اقدس واجباتنا ان نحافظ عليها لاننا انما جئنا هنا لنكون امناء على سلطة الامة

أرجو من حضراتكم أيها السادة أن تعطونى قليلا من حلمكم فان المسألة تحتاج لعناية كبيرة — نحن لا نشرع للوقت الحاضر ولكنا نشرع للأمة — للدولة — للحاضر والمستقبل . والقرار الذى يصدر منا فى هذه المسئلة قرار ملزم لمجلس النواب إلى ماشاء الله لانه قرار يصدر من تلقاء أنفسنا . ومثل هذا القرار خطر لانه ملزم للهيئة التى أصدرته وحكمه حكم قرار صادر من جمعية وطنية . فلنتريث فى الامر قبل البت فيه — فلسنا بمجلس شورى ولا بجمعية عمومية ولا جمعية تشريعية لاننا اذا اعتبرنا أنفسنا كذلك فكأننا لم نخط خطوة إلى الامام

روح المدنية (١)

بقلم الاستاذ انيس المقدسي

لكل مجتمع روح تتجلى في افراده . ولكل عصر مزايا هي مقومات حضارته . ونحن الآن في القرن العشرين وقد ملكنا اعنة الماء والهواء . وضبطنا قوى الطبيعة نديرها كيف نشاء فاتسعت لدينا الآفاق . وتقاربت بيننا الابعاد وتولد من جراء ذلك في عصرنا روح عامة لم يعهد لها نظير في تاريخ العمران

على ان العمران حلقات متصلة . وليست هذه الروح الا نتيجة طبيعية لتقدم مستمر أو لحركة اجتماعية خفية . تثور احياناً كالبراكين فتدمر العمائر وتقلب نظام البلدان . وتجري احياناً كمياه الرياض السلسة فترويها بلاجلبة أو هيجان . وهذه الحركة المندفعة تحت ظواهر الحياة الاجتماعية لم تنحصر في عصر دون عصر أو جيل دون جيل ، بل ولدت مع الانسان وانحدرت في صلب الاجيال وبرزت بين اقوام شتى فوضعوا لها اسماء عديدة ونعتوها بنعوت مختلفة . وما روح المدنية الا قبس من نارها الخفية التي تنبثق منها كل الانقلابات الاجتماعية والحركات الروحية

ما روح المدنية ! وهل للمدنية روح ؟ هو ذا اصوات المتهكمين تتعالى من كل مكان . هل في المدنية اليوم غير المظالم والاهوال وأسباب الشر والدمار ؟ قوى يستبد بضعيف . وأمة تعتدي على امة . وعلم يخدم السيف والدينار . ومظلوم يطالب بحقه فلا يجاب بغير النار ! أجل وراء كل ذلك روح فعالة تدفع البشر الى الامام . روح تتمثل في يقظة الشعوب وتلمسها طريق الحياة وهي التي يخدمها كل خادم حقيقي للعلم ويدافع عنها كل متحمس لمبدأ عظيم . ولها في حياة البشر برغم فسادهم الطبيعي وغرائزهم الحيوانية مظاهر شريفة أكتفي الآن بثلاثة منها :

١ — انها ابدا تطلب الحقيقة : فلا يقر لها قرار ما لم تر السبل حرة في وجه المفكرين المخلصين والعمال الامناء . وكل حركة تمنع ذلك هي عدوة لروح المدنية . قام في القرن السادس عشر للميلاد فلكي ايطالي دفعته ابحاثه الى المجاهرة باقوال مناقضة للمعتقدات السائدة . فقامت عليه القيامة وتهدده اولو الامر بالقتل واضطروه أن ينكر ما قال وأن يشهد على ملأ من الناس ببطلان آرائه . ذلك لان حب الحقيقة لم يكن قد نضج بعد في ذلك العصر فكان ابناؤه عبيداً لاوهام

(١) من خطبة ألقيت في الحفلة الكبرى التي اقامتها جمعية الشبان المسيحية في يافا

وقفت حائلا بينهم وبين النور . وهكذا جنا غاليليو لاستبداد عصره . واذيق العذاب لاجل معتقده . بل هكذا عذب لاجل الحقيقة كثير من الابطال وأحرق على مذبح الجهل كثير من الحقائق . وانما يضطهد المخالفون للمعتقدات السائدة . أو الواقفون فى وجه القوى الجائرة اذا كانت روح المدنية التى هى طلب الحقيقة ضعيفة فى قلوب الجمهور فلا يكترثون لها ولا يبالون بمظاهرة اربابها

فى العلم ـ فى الدين ـ فى السياسة . هذه الروح تطلب الحقيقة . هى تكرمها فى مذهب النشوء كما تكرمها فى تعاليم الكنيسة . تنشدها فى الكليات والجامعات كما تنشدها بين الازقة والساحات

روح المدنية : تخدم العلم الصحيح المبنى على المعرفة والروية والاختبار
العلم الذى يهذب الفكر ويوسع الصدر ويخضع للبرهان
العلم الذى لايعرف وطناً غير الوجود ولايتعصب لجنسية غير الحقيقة
روح المدنية : تقدس الدين القويم المبنى على الفضيلة والمعاملات الشريفة
الدين الذى يرفع النفس الى المثل الاعلى ويملأ القلب حباً ووقاراً
الدين الذى لايعرف وطناً غير الله ، ولا يتعصب لجنسية غير الانسان
روح المدنية : تناصر السياسة الحازمة المبنية على الاخلاص للجمهور
السياسة التى تعين الامة وتخدم مصالحها
السياسة التى لاتعرف وطناً غير الحق ولا تتعصب لجنسية غير العدالة !

قيل كان علماء اكسفورد فى العصور المظلمة يغرم الواحد منهم خمسة شلنات عن كل مرة يكسر بها تعليما من تعاليم ارسطو . اما روح المدنية الحقيقية كما تظهر اليوم فتنشط حب البحث وتفتح للفكر ابواب الحرية وتعمل على ازالة الاوهام والترهات وتهيب بالانسان الى نصرة الحق والعرفان . واذا كنا نرى اليوم حتى فى اميركا الديموقراطية من يقوم على استاذ ويدينه لمجاهرته بما يخالف بعض التعاليم الدينية فى مدرسة رسمية . أو فى مصر الحديثة من يثور على شيخ لتصريحه برأيه فى مسألة الخلافة ، فيتهمه بالمروق والزندقة ـ فان هناك ايضاً فى هذين البلدين وفى سواهما من ينادى : دعوهما وما يعتقدان . هناك رأى مهذب قد تشرب روح الحقيقة ونادى بتقديس الحرية الادبية

ابداً تطلب الحقيقة هذى الروح ليست تخشى عدى او عوادى
فهى نور الحياة ان غاب ضل النا س فى سيرهم سبيل الرشاد

٢ ـ **هذه الروح تحترم النظام وتؤثر المبادىء على الاشخاص** : الناس فى ادوار انحطاطهم عبيد لفرد أو لافراد ، هم عندهم الكل فى الكل . فلايعرفون نظاماً الامتى اجبروا عليه

ولايقدسون مبدأ الا اذا كانت وراءه قوة تناصره . فاذا ارتقوا وتنظمت حياتهم الاجتماعية تضاءلت لديهم قوة الشخص امام قوة النظام وجعلوا هدفهم فى الحياة خدمة المبادىء. قرأت لأحد صحافيينا الأدباء ان غلادستون وقف مرة امام الملكة فكتوريا العظيمة . وطلب منها ان توقع نظاماً اقره المجلس الانكليزى ولم تكن الملكة تريده فابت وقالت : لا اوقعه .فاجاب غلادستون : إن المجلس يامولاتى قد اقره فيجب أن توقعيه . فالتفتت اليه مغضبة وقالت : مستر غلادستون انا ملكة انكلترا وأمبراطورة الهند وتقول لى يجب ؟ قال : نعم يامولاتى أنا شعب انكلترا . فكأنه يقول انا خادم لنظام هو اعظم من الملوك والسلاطين . وما الحياة لو حققت الا نضال مستمر بين روحين شديدين قوة النور وقوة الظلام ـ ثنوية ازلية وستبقى الى آخر الايام ! ومن هم المصلحون العظام الذين ظهروا فى تاريخ الامم إلا افراد قلائل تشربوا هذه الروح العظيمة فاحتملوا ووضعوا باحتمالهم أسس المدنية والارتقاء . قال بعض الحكماء الاقدمين : « سلطان تخافه الرعية خير من سلطان تخافها » . قول حكيم يصدق على بعض الاقطار وفى بعض الاحوال . ولكنه لا يتمشى مع روح المدنية اليوم . فهى لاتخدم سلطاناً لانه سلطان ولا تعمل لمصلحة فرد لما له من النفوذ . بل تخدم ما تحسبه النظام الاسمى وتعمل فى سبيل الخير العام . وما اوضح ذلك فيما روى من حديث خالد بن الوليد مع الامام عمر يوم عزله من قيادة الجند فبقى خالد مع ذلك يحارب ويجاهد كأحد الجنود .ولماقيل له فى ذلك قال قوله المأثور : « انى لا أحارب من اجل عمر، لا ولا من أجل سواه » يعيش الذين امتلأوا من روح المدنية اليوم ووقفوا حياتهم على نصرتها . كان لأحد كبار الماليين فى اميركا حفيظة على استاذ فى جامعة هارفرد فبعث الى رئيس الجامعة يقول: « انى اقدم عشرة ملايين دولار للجامعة اذا كانت تطرد ذلك الاستاذ» فاجابه الرئيس: « ليست جامعة هارفرد سلعة تباع وتشترى » ليست روح المدنية تزلفاً الى شخص او طمعاً بحطام ولا هى خنوع لذى منصب او تعلق بمقام . وانما تعد الامة امة راقية متى عرف افرادها الواجب عليهم للقوى العليا وساروا بحسب ذلك الواجب بشجاعة واخلاص

قام الامبراطور الرومانى كالغيولا وصدمته هزة دماغية ذهبت بانتظام قواه العقلية فعبث بالامة وهتك حرمتها ودنس باعماله رومة وشرفها . ومع ذلك جثا له خاصته وهم المبغضون . وعبدته رعيته وهم المستضعفون . وقد بلغ به الغرور ان جعل حصانه قنصلا (عضواً فى المجلس الاعلى) فصفق له الناس استحساناً إذ لم يكن فهم يومئذ جبابرة نفوس يحترمون المبادىء السامية ويؤثرونها على الاشخاص . وقام قديماً عتاة الامم فسخروا الناس لغرورهم . وغواة الحروب والتدمير فساقوا الالوف لاطماعهم . قام فيهم نيرونهم وفرعونهم وتيمورهم واضرابهم . ومع ذلك أقام لهم أهل عصرهم اقواس النصر ومدوا لهم أعناق الذل ورفعوهم الى مصاف الآلهة . ولماذا ؟ لان روح المدنية لم تكن قد خمرت النفوس فكانت القوة المستبدة عندهم كل شىء .وكأنى اسمع هامساً

يقول : هي عبادة الأبطال التي ذكرها كارليل في كتابه واهاب بالناس الى تعظيمها والاعتصام بها كلا ليست عبادة الأبطال ايثار الشخص على المبدأ وإخضاع الحق للقوة المادية . بل هي تكريم المبادىء العليا مجسمة في شخصية عظيمة . فليكرم القائد العظيم الذي يقوم بان العواصف فيخلص بلاده من الخراب . وليكرم العصامي الذي يجمع الثروة بجده واقدامه ليستخدمها للخير العام . وليكرم خادم العلم المجاهد لينير الاذهان ويخضع قوى الطبيعة للانسان . بل ليكرم كل خادم . نعم كل خادم للمثل الأعلى في الحياة

المثل الاعلى ! قديقول المتشائمون تلك لفظة لاتكون الا في مخيلة الشعراء والفلاسفة . فالمدنية كانت ولاتزال تحت ربقة القوة المادية . القوة التي تستبد بالضعيف وتعبث بحقوقه

والمثل الأعلى ؟ ألا ترى الماليين يهزون رءوسهم تهكما ويقولون : المال ! المال !

والساسة يتغامزون ويهمسون : الدهاء ! الدهاء !

والقادة يقلقلون سيوفهم ويصيحون : الجند ! الجند !

كلا لعمري انما المال والدهاء والجند مظاهر المادة في المدنية . أما روحها التي تنير الحياة وتجعل الارض جديرة بسكنى الانسان فهي التي حملها رجال الاصلاح في كل جيل - هي روح الاديب الذي لا يرى في الادب غير خدمة الحقيقة - هي روح الحاكم الذي لا يرى في السيادة غير خدمة الجمهور . وهي روح المالي الذي لا يرى المال غير آلة للخير العام . بل هي روح الطبقة الراقية من الشعب تظهر في احترامهم لانفسهم فيربأون بها عما يدنسها أو يحقرها ويحتملون لاجل ذلك ما لا يحتمله سواهم في الحياة - هي شخصية الامة وهي حاجة الامم الشرقية اليوم . ومتى تشربت امة هذه الروح وتمكنت من طبقات المتهذبين فيها فلا خوف عليها من عبث عابث أو جور جائر لانها جرثومة الحياة ولن تستطيع قوة ان تقتلع جرثومة الحياة من قلب امة تحترم نفسها وتقدس الروح الشريفة فيها

ان في هذه الحياة لحرباً ... بين روحين لاتزال سجالا

ليس في امة رقى اذا ما ... غلبت شهوة الرجال الرجالا

٣ - **روح المدنية تدعو الى التعاون وعدم التفاهم** : فهي تلك الحواجز التي يقيمها الجهل أو حب الاثرة بين الاجناس والطوائف . وتحدو الناس الى التفاهم والتعاون بدل التشاكس والتنافر . كانت الكلمة في أول مراحل الاجتماع للعصبية اى لتلك الرابطة الدموية التي تربط ابناء العشيرة بعضهم ببعض فيتحدون بها على الغريب . وهذا ماعبر عنه ابن خلدون بالعمران البدوي . ثم تقدم البشر فاجتمعت العصبيات وتكونت منها الرابطة الجنسية او الدينية . لكن الجنس لم يبق في بلد ما صرفاً فامتزج بعناصر أخرى وتكون من هذا رابطة الوطن . ولو راجعنا التاريخ لوجدنا أن

حب المصلحة الشخصية وطمع الطامعين طالما جعلا العصبيات والاجناس والاديان اعداء ألداء فتصادموا وتفانوا . وما موجات الحروب الجنسية والدينية فى الشرق والغرب من أقدم ازمانها الى الآن الا تجاذب لبساط السيادة وسعى فى زيادة المال والحطام . ولما كانت بلادنا بسبب موقعها الجغرافى ملتقى الشعوب الكبيرة ومصطدم المشارب والمذاهب ، اصبحت تربتنا صالحة لبذور التعصب والشقاق . وطالما ذقنا منها انواع الشقاء والبلاء . ولا ننفرد نحن بذلك فالعالم كله لايزال يئن من تأثير الاطماع الجنسية ويتألم من وطأة النعرات الدينية ، على ان الانسان قد خطا خطوة الى الامام ، فتقاربت - بفضل العلم الصحيح والتهذيب الراقى - مذاهبه وجنسياته وأصبح الفرد المتهذب يرى فى الانسانية وطناً هو اشرف الاوطان . وفى عبادة الله القلبية ديانة هى فوق الاديان . ولا اعنى بالانسانية مايدعو اليه البلاشفة من مبادئهم المتطرفة بل اعنى الشعور العام بوجوب التعاون وتبادل المنافع ذلك الشعور الذى يجل الوطنية الحقة ويقدس الدين الروحى فيمنع الجنس من امتهان الجنس وينزه الدين عن اذية الدين

وإن شرقنا العربى لن يتقدم الا بازالة الحواجز القائمة فى سبيل عمرانه . وماعمرانه الا مقدرة افراده وأجناسه على التعاون والتضافر ، فلسنا بعداليوم مجموع قبائل متعادية كما قديصوره لنا الطمع والحسد ، ولا نحن فى عصر نستطيع ان نعيش فيه عيشة التخاذل والتضاغن ، نعم لايزال فى الشرق كثير من عوامل التفريق ، ولكن شمس المدنية تعلو رويداً رويداً وشعور المجتمع بالمسئولية الانسانية ينمو نمواً مطرداً : واذا ذكرت بلادنا الشرقية فليس إلا لاننا كابنائها يهمنا كل ما يؤول الى فلاحها وارتقائها . والا فالمدنية الحقيقية العاملة على تحويل الافكار الى المصلحة العامة والى اهتمام الفرد باحوال المجتمع - الى ارتباط العناصر المتباينة والشعوب المتعادية برباط الشعور الانسانى ، قد نفخت روحها فى جميع البلدان وفى جميع الامم الراقية ، وهذه الروح هى التى نعبر عنها بالاريحية الانسانية أو « روح الخدمة العمومية »

ومتى قويت فينا هذه الروح التى تعنى بالمصلحة العامة وتقدس المسئولية المشتركة ظهر فينا الشركات الوطنية القوية والجمعيات العمومية المنظمة وانبسطت اكف اغنيائنا فى سبل المشروعات الوطنية . واتحدت الطوائف على اختلاف نزعاتها تحت علم واحد هو علم الوطنية الراقية

أيها السادة - كما ان للانسان شخصية أو روحاً هى غير جسده هكذا للمدنية التى نراها ، وقد يهولنا ما فيها من فساد وشرور مجرى داخلى هو روحها الحقيقية

وهذه الروح هى التى تخدمها العلم الصحيح والدين الصحيح . وإذا تطير البعض منا لما فى البشر من ميل الى الظلم والمكر والشراسة فليطمئنوا . ان فى البشر ايضاً فى كل جيل ولا سيما فى هذا الجيل افراداً يضحون بمصالحهم لاجل المبدأ والحقيقة والخير العام . هؤلاء هم اقطاب الدنيا الذين عليهم يتوقف العمران . وبروحهم تسير الانسانية الى الامام

شبابنا الجديد : آماله وأحلامه (١)

بقلم الدكتور على العنانى

الأبناء بالنسبة إلى آبائهم هم فلذات اكبادهم ومتجه عواطفهم ومحل محبتهم ومعقد آمالهم . ومن أجل الابناء يكد الآباء ولأسعادهم يعملون وفى تهذيبهم يجتهدون وحول نفعهم فى العموم يفكرون ثم يفكرون . وهم بالنسبة الى الوطن ذخيرته الحاضرة وروضته الناضرة وعدته فى مستقبله القريب

والآباء بحكم الأبوة وبعامل الوطنية وشعور القومية هم معلمو الأبناء وأساتذتهم . وبمقدار ذكاء المعلم وغزارة مادته ونوع ثقافته تكون قيمة التعليم ويكون مدى نجاحه . والنتيجة اللازمة لذلك أننا إذا أردنا أن نعرف نحوى شبابنا المصرى الآن ، ونوع ما يجيش فى نفسه من أمل وجب علينا أن نلقى نظرة عامة على مابين الآباء والأبناء فى مصر من صلة عقلية هى صلة التربية والتهذيب ، أو هى جماع حياتنا العقلية وصورة ثقافتنا الحاضرة فى العموم

كل جيل من الأجيال يتكون حتما - وعلى الأقل - من الاجداد والآباء والابناء والاحفاد . والاجداد أساتذة الآباء ، والآباء بدورهم أساتذة الابناء كما تقدم ، والابناء بدورهم أيضاً أساتذة الاحفاد . والحياة العقلية لأية أمة من الامم فى أقصر أدوارها هى التى تشترك فيها هذه الطبقات الاربع . وطبقة الابناء تتكيف بالكيفيات العقلية التهذيبية التى تصل اليهم من طبقة الآباء . وهم يكيفون بها طبقة الاحفاد . وهكذا مع مايتبع ذلك من طبيعة الرقى المرتكز على مجهود الامة نفسها ، أو المرتبط بتقليدها للامم الحية الراقية ، وبالاقتباس من مجهوداتها العقلية والعملية فى القديم المجهول والجديد الغريب ، أو مع ما يتابع ذلك أيضاً فى بعض الظروف من عوامل التدهور

واذا كان الاب معلم أبنائه والابن تلميذ أبيه فالمدرسة الحقيقية التى تكون الناشئين وتكيف عقلياتهم بحكم الطبيعة ليست هى المدرسة النظامية فقط التى تلقى فى حجراتها الدروس وتلقن العلوم طبق خطط موضوعة ومناهج مكتوبة وقوانين للتعلم والتعليم مشترعة ، بل هى أيضاً تلك المدرسة العامة التى لا ينصرف عنها الطالب آناء الليل وأطراف النهار مطلقاً . وتلك المدرسة فى القرية هى الدار والحقل وندوة السامر وسوق المتجر . وهى فى المدينة البيت والشارع والمقهى والمسرح والملهى والملعب والمسجد والمعبد والمصنع والمتجر والمربع والمتنزه .

---

(١) اخترناها له . مقتبسة من مقال نشر بالهلال . . .

وهى فى المدينة ايضاً دور الاحزاب ونوادى الجمعيات والاتحادات والصحيفة والمجلة والرواية والكتاب والدرس والمحاضرة . هى كل ذلك وما اليه من جميع نواحى البيئة وانواع الاجتماع

فى هذه المدرسة العامة والبيئة الجامعة يخرج الآباء الابناء ويهذب الابناء الاحفاد . والشباب يستقر فى عقليته ونزعاته ويستريح لحياته الحاضرة ومستقبله إذا كانت الامور كلها فى هذه المدرسة العامة والبيئة الجامعة مستقرة والحياة فيها منظمة ومدعمة وطريق المستقبل بها معبداً

والأمة التى تتنبه فى حياتها وتدرك وجودها وتجل فى نفسها وتسمو فى رغباتها وترنو إلى التقدم فى صفوف الامم الحية الراقية ، تعرف أن سبيلها الاول الى ذلك ـ ولا شك ـ الرقى العلمى والتهذيب الاجتماعى فتقلد غيرها فى ذلك ، وتنتج هى ايضا بعقلها وتفكيرها الخاص بها ، وتعين روح ثقافتها فى حدود قوميتها ، وتجدد مثلها الاعلى الذى به تمتاز . وهى فى كل ذلك ربما توفقت ووصلت الى النهاية فى المكانة القصوى بأسرع ما يكون أو بعد طويل من الزمن ، وربما تخبطت وسارت على غير هدى فلا تقطع شوطاً ولا تتقدم شبراً ، وكثيراً ما تؤوب إلى الوراء

وفى الحالة الأولى يكون الشباب وثاباً فى وداعة وحكمة فيهتدى ، وناهضاً فى هدوء واستقرار فينجح ، وعاملا فى ابتهاج وحبور فيفلح . وفى الثانية يعدو فى اضطراب وقلق فيضل . ويسرع فى حيرة واندفاع فيعثر . ويتحمس فى طيش ونزق فيخطىء . وينشط فى وجل وكدر فيخيب ويخسر . واذن فتوفيق الشباب وسروره واستقراره أو اخفاقه وكدره وحيرته ـ لا شك كل ذلك راجع الى حالة بيئته الجامعة ونوع مدرسته العامة وعقلية الآباء أساتذتها وما تنتجه هذه العقلية من أثر يكيف نوع الحياة ويصور حالة الاجتماع

فى هذه المدرسة العامة ـ أو البيئة الواسعة الجامعة والمرآة الشفافة الواضحة ـ نلمح الشباب المصرى من جهة مضطرباً فى حيرة لانها مضطربة متناقضة ، وهيمان صاديا لأنها جافة وجامدة . ونراه من جهة أخرى مملوءاً بالحماسة والنشاط لانها راغبة ومرغبة فى الحرية وشاعرة بالعظمة القومية وطافرة الى الرقى والنهوض . ودين الشباب فى مصر الحرية وشعاره العظمة القومية ومطمحه التقدم والرقى . ولقد ورث هذا بالطبع عن الآباء وغالى فيه بتأثير روح الوقت والنهوض العام . لذلك هو متشبع بالحماسة وشاعر بالعظمة ومملوء بالنشاط

ما تزال التربية العلمية فى مصر — برغم كل علاج فيها حتى الآن لاصلاحها — متشعبة متضاربة لا تفرق بين المروى الموروث والاسطورى القديم والعلم التجريبى الحديث . بل ما يزال التعليمان الدينى والاهلى فيها لا يلتقيان عند حقيقة واحدة وعقلية متحدة عامة . وانما عقليتنا ـ وهى نتيجة هذه الجهات المختلفة كلها ـ مازالت مختلفة الالوان والنزعات والمبادىء والرغبات . وكل هذا ـ ولا شك ـ من عوامل الاضطراب والقلق المحض . وماذا ننتظر من الشباب المثقف بمثل هذه الثقافة إلا الحيرة الواسعة وعدم الاستقرار !

تصدر فى مصر فريق غير ناضج فى الثقافة العامة مدعيا معرفة كل شيء وناصبا نفسه الى الارشاد فى كل شيء أو بعبارة عامة الى القيادة الفكرية . ولا يتورع هذا الفريق مع الاسف الشديد عن التعرض لما لا يعرف ويقرر حكمه فيه . والامثلة على ذلك كثيرة جداً : نذكر من بينها تلك الدعوة العجيبة الى اشتغال الشباب المصرى بأدب قومى مصرى وما يتبع ذلك من اهمال جانب الأدب العربى العام ! . وبربك أخبرنى : أين هذا الأدب القومى المصرى ؟ أهو أدب الفراعنة أم أدب العرب المصريين . وفى أية لغة على كل حال قد دون هذا الأدب ؟

واذا كان هذا الأدب القومى المصرى مدوناً فى لغة العرب فأدب هذه اللغة هو أدب اللغة العربية العام منذ نهضتها الجاهلية الأولى حتى الآن . وغاية ما فى الأمر أن مصر لها ذوق خاص فيه كما لسورية وفلسطين والعراق واليمن ونجد والحجاز وبلاد أفريقا الشمالية وأقطار الأندلس ، من الاذواق الأدبية المختلفة . وكل واحد منها متوقف طبعاً فى فهمه واستساغته على فهم الأذواق العربية الأدبية الأخرى فى جميع أقطارها المترامية . وبالجملة فهذه الفكرة الزائفة والدعوة الهوجاء اليها ـ مع ما فيها من قول خلاب ونزعة وطنية ظاهرية براقة ـ ليس فيها سوى إغراء الشباب ضد الحضارة العربية والتضليل به فى هذا السبيل . ماذا تكون عقليته وعواطفه مع هذا الاغراء والاضلال فيما يختص بالدين وأمه ومجد الساميين ؟

بعض الصحف اليومية وبعض المجلات تنهش الاعراض نهشاً قاسياً . وتقذف فى الزعماء والقادة قذفا فاحشاً . وهذا القذف وذاك النهش ـ وهما واقعان على آباء الناشئين ومعلميهم ـ كارثة فادحة وجريمة قومية مضاعفة تضر بأخلاقنا وبقوميتنا وشرفنا ووحدتنا (المرجوة طبعاً) وهى كما تسيء الينا وتضر بنا فى كل هذه النواحى تسيء أيضاً الى أبنائنا الشبان فى كل ذلك

وبأى شيء يذعن الشباب والحالة هذه ؟ أبالسباب أم بالدفاع ؟ أم بهما معاً ؟ أم بأحدهما تارة وبالآخر أخرى ؟ أم يميل الى نبذ السباب والمتسابين ؟ انه فى النهاية من جراء ذلك لفى اضطراب وأسف وفى نفرة واختلاف وفى شقاق ونضال . وبئس النضال نضال الدفاع عن الرذيلة !

مبدؤنا واحد فى السياسة والاجتماع سواء فى ذلك الافراد والجماعات والاحزاب . ولكن عملنا مختلف أشد الاختلاف فيهما ومتنافر كل التنافر فى هذا الباب : ننادى بالمصلحة القومية العامة ونعمل للصالح الفردى الخاص . ويرى الشبان ذلك وأى شيء يفقهون ؟ أيصدقون القول ؟ أم يقتنعون بالعمل ؟ . إنهم فى الواقع لفى حيرة وفى قلق . وانهم لفى اضطراب وضيق ذرع

فى كل عام يتخرج الآلاف من الطلبة . وفى كل عام يتقدم الآلاف للتعلم من الاطفال . وفى كل عام ينتقل الآلاف تلامذة وطلبة من سنى الدراسة المختلفة إلى التى تليها . وفى كل عام فى النهاية تزيد النسبة فى كل ذلك عنها فى العام السابق . ومع ذلك فمستقبل الجميع ليس باسماً ، وماذا يكون فكر الشباب والحالة هذه سوى الحيرة والابتئاس والحنق على الزمان والمكان ! !

يا قمر

بقلم الاستاذ عبد الرحمن صدقي

من ذا يطيق السرى والليل معتكر ... ومن يحنُّ له لولاك يا قمرُ

جهامة الليل لما ارتدتَ ساحته ... عكستها متعةً يحلو بها السهر

ولم نكن لنرى من فرط حلكتهِ ... مقدار حلكة ما لا يبصر البصر

حتى ليسأل ساري الليل صاحبه ... هل ادلهمَّ الدجى أم قد عشى النظر

فشعّ نورك إيضاحاً لظلمته ... وبات يعرف كنه الظلمة البشر

فاعجبْ لنورك تبدي الليلَ آيتُه ... وآية النور أن يعفى الدجى العكر

واعجب لقرصك يقفو كلَّ مدَّلج ... وإن تعارضت الوجهات والوطر

فاءٍ - وكل نفيس القدر منعزبٌ ... كما نأت في قرار العيلم الدرر

تضيء كالدرة الغراءِ ملتمعاً ... وغيهب الليل كالامواج منهمر

سهران تمشى الهوينا مطرقاً أبداً ... مشى الحكيم قد استغرقه الفكر

تجلو المشاهد في القمراء شاحبة ... كأن عالمها الاشباح والصور

ياليت ان حياتي كلها سمر ... في ليلة وسميرى انت يا قمر